

# المنتقيات الرضية من المواعظ السلفية

إعداد  
حمزة بن فايع  
إبراهيم آل فتحى عسيري



# المنتقيات الرضية من المواعظ السلفية

جمعٌ وتعليق

د . حمزة بن فابع إبراهيم آل فتحي عسيري

١٤٤٢هـ - ٢٠٢١م

**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**

## فهرس الموضوعات

١	فهرس الموضوعات .....
٥	الاستهلال .....
١٠	(١) القرآن و حياة القلوب ..!
١٢	(٢) قيمتك في الحياة ...!
١٤	(٣) هم الدنيا والآخرة ..!
١٦	(٤) طلاق الدنيا ...!
١٨	(٥) رؤوس الأموال ..!
٢٠	(٦) الحنين الى رسول الله ..!
٢٢	(٧) الزاهد الحقيقي ..!
٢٤	(٨) حقيقة الموت ..!
٢٦	(٩) لا تفجع في أخلاقك ..!
٢٨	(١٠) استباق الأعمال ..!
٣٠	(١١) فضل الصالحين ..!
٣٢	(١٢) صلاح السرائر ...!
٣٤	(١٣) ذوبان قلب المؤمن ..!
٣٦	(١٤) الشوق الى الله ..!
٣٨	(١٥) أثر عز الطاعة ...!

- ٤٠ ..... (١٦) العافية من الذنوب..!
- ٤٢ ..... (١٧) نقص الدنيا..!
- ٤٤ ..... (١٨) مجالس نادرة..!
- ٤٦ ..... (١٩) درس في المواساة..!
- ٤٨ ..... (٢٠) فن احتواء العصاة..!
- ٥١ ..... (٢١) كمال الرجال...!
- ٥٣ ..... (٢٢) لذة قيام الليل...!
- ٥٥ ..... (٢٣) المحامل الحسنة..!
- ٥٧ ..... (٢٤) نسيان العلم..!
- ٥٩ ..... (٢٥) مفاتيح الحب الاجتماعي..!
- ٦١ ..... (٢٦) النجاة الدائمة...!
- ٦٣ ..... (٢٧) وعي الغيبة..!
- ٦٥ ..... (٢٨) تضييع العمر...!
- ٦٧ ..... (٢٩) فاضح الدنيا..!
- ٧٠ ..... (٣٠) أشجع الناس..!
- ٧٢ ..... (٣١) عرف حقيقة نفسه..!
- ٧٥ ..... (٣٢) من فقه التحرز..!
- ٧٨ ..... (٣٣) كمال الآخرة وحسنها..!
- ٨٠ ..... (٣٤) الداء والدواء..!

- ٨٣ ..... (٣٥) خطورة أعراض الناس ..!
- ٨٦ ..... (٣٦) قد كُفيتم ..!
- ٨٩ ..... (٣٧) المؤمن الكيس ...!
- ٩١ ..... (٣٨) محاسبة النفس ..!
- ٩٣ ..... (٣٩) كرامة العباد...!
- ٩٥ ..... (٤٠) من أسباب ترك العمل..!
- ٩٧ ..... (٤١) إخوان الصدق...!
- ٩٩ ..... (٤٢) غوالب العلم والعقل ..!
- ١٠١ ..... (٤٣) المحاسبة الهيئة..!
- ١٠٣ ..... (٤٤) العلاقة بالقرآن..!
- ١٠٥ ..... (٤٥) التهلكة في الحياة ...!
- ١٠٨ ..... (٤٦) عيب الناس ..!
- ١١١ ..... (٤٧) تهمم المؤمن الذاكر ..!
- ١١٣ ..... (٤٨) المنافسة الحقيقية ..!
- ١١٨ ..... (٥٠) فقه الدنيا...!
- ١٢١ ..... (٥١) الشغل بطاعة الله...!
- ١٢٣ ..... (٥٢) السعادة الأبدية...!
- ١٢٥ ..... (٥٣) حرمان التوفيق ...!
- ١٢٨ ..... (٥٤) شرف العلم والزهد...!

- ١٣١ ..... (٥٥) صلاح الدنيا..!
- ١٣٤ ..... (٥٦) أنوار التدبير..!
- ١٣٧ ..... (٥٧) مهاوي الهوى ..!
- ١٤٠ ..... (٥٨) ذنب يغفل عنه..!
- ١٤٢ ..... (٥٩) محبة الله وذكره..!
- ١٤٥ ..... (٦٠) النقصان الحقيقي..!
- ١٤٨ ..... (٦١) وليتك تسلم..!
- ١٥٢ ..... (٦٢) عاقبة التهاون والتأجيل..!
- ١٥٥ ..... (٦٣) قرع الباب..!
- ١٥٨ ..... (٦٤) مرآة التوبة...!
- ١٦١ ..... (٦٥) الهدية الحسنة والشلاء...!
- ١٦٣ ..... (٦٦) خشوع النفاق..!
- ١٦٥ ..... (٦٧) هم الإجابة...!
- ١٦٨ ..... (٦٨) الأسئلة المميّنة...!
- ١٧١ ..... (٦٩) فضل اتباع السنة...!
- ١٧٣ ..... (٧٠) حلاوة العبادة..!

## الاستهلال

حمداً لله على توفيقه وتيسيره ، وشكراً له على تسديده وتنويره ،

وصلاةً وسلاماً على خير البرية، وهادي الإنسانية ، نبينا محمد

وعلى آله وصحبه أجمعين ..

أما بعد :

فحينَ تَقلِبُ كُتُبَ التَراجِمِ والمَواعِظِ والسَيرِ ، تَسطَعُ مَواعِظُ

سَلفِيَّةٍ ، وكَلِماتٌ للأَعلامِ ، ودررٌ للعِباقرِ ، تَستَوقِفُ العاقلِ ،

وتَستَهِوي اللَماحَ ، وتَشُدُّ المَمتَطحَ ، فلَما رَأيتُ تَكاثرَها ، عَزمتُ

عَلى تَقييدِها وجمَع ما تيسرَ مِنها ، لا سِما ما طابَ وسُهِّلَ ، ولذَّ

وجُمِّلَ ، وحسنَ واصلِح . بِحيثُ يَحفظُها النَوابِغُ ، وَيتمثلُ بِها



الخطباء ، ويسوقها الدعاء ، ويضمنها الأدباء...! فبعضها  
كالسحر الحلال ، والماء الزلال ، والشهد المسال .

جمال ذي الأرض كانوا في الحياة وهم.. بعد الممات جمال  
الكتبِ والسيرِ

جمال الله مناطقهم ، وطيب ألسنتهم ، فأفاضوا علينا من دُر  
الكلام ، ومحاسن التعبير ، وروائع التدبير ، ما يستحق منا التقيدُ  
والحفظ ، والانتباه والفهم ، والإصغاء والحزم ، فتم ذلك بتوفيق  
الله ، حيث اعتنى بكلامهم ، وتُبعت مقولاتهم ، ثم يسر الله تعالىق  
عليها ، وكلمات تشرحها ، وتبينات تجليها ، بحيث تكون  
مختصرةً بلا إطالة ، وموضحةً بلا ملالة ، وكاشفةً بلا نخالة ،  
والله الموفق .

ويعلم الله تعالى ، كم لتلك الكلمات الروائع ، من تأثيرات تربوية وفكرية ومنهجية على طلاب العلم، وقد أخذت من العبد الفقير مأخذها ، فجمع ما تيسر في العلم والمنهجية ، فقيد " تنبيهات الأكابر " و " ومواقف علمية للأسلاف " و " وسير مختصرة لعبر مزدهرة " وشبهها ، وكان بعضها محل الحفاوة في الدروس والمحاضرات العلمية ، وقد نُشرت بحمد الله وتيسيره .

وفي هذا الكتاب الانتقائي ، عناية بمواعظهم مما هو توجيهٌ وترقيق ، ونصحٌ وتأکید، وتذكيرٌ وتحقيق ، نسأل الله تعالى حُسن الانتفاع بها ، فهم من الذين اهتدوا وآتاهم تقواهم ، ومن الألى هداهم الله ، وبهداهم نقتدي ونقتفي ( والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار ، والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ..) سورة التوبة ( ١٠٠ ) .

ولذلك تأتي هذه المواعظُ ، لتُبَيِّنَ كيف فهمَ السلفُ الدينَ  
والدنيا، والاستقامة ومخالفاتها ، وأتهم كانوا من أحسنِ الناسِ  
دينًا وأطيبهم هديًا ، وأصدقهم عملاً ، وكما قال الحافظ ابن  
رجب رحمه الله: " كلامُ السلف قليلٌ كثيرُ البركة، وكلامُ  
الخلف كثيرٌ قليلٌ البركة.. وفي كلامهم -أي السلف - كفايةٌ  
وزيادة ، فلا يوجد في كلام من بعدهم من حق إلا وهو في كلامهم  
موجود بأوجز لفظ ، وأخصر عبارة ، ولا يوجد في كلام من  
بعدهم من باطل ،؟ إلا وفي كلامهم ما يبين بطلانه لمن فهمه  
وتأمله ، ويوجد في كلامهم من المعاني البديعة والمآخذ الدقيقة،  
مالا يهتدى إليه من بعدهم ولا يلتم به ، فمن لم يأخذ العلمَ من  
كلامهم فاته ذلك الخيرُ كله ... "

ولمَّا سُئِلَ حمدون القصار - رحمه الله - : ( ما بال كلام السلف  
أنفع من كلامنا ؟ قال : لأنهم تكلموا لعز الإسلام ، ونجاة  
النفوس ، ورضا الرحمن ، ونحن نتكلم لعز النفوس ، وطلب  
الدنيا ، ورضا الخلق ) ..

وكلامٌ هذا وصفه وعلامات صدقه، خليقٌ بنا وعيه وتحفظُ  
جواهره، وتأمل درره ومحاسنه ، لا سيما وهو صادر من أعلام  
نبغوا ديانةً وفصاحةً وهدايةً ، وهم كما قال ( وَهْدُوا إِلَى الطَّيِّبِ  
مِنَ الْقَوْلِ وَهْدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ ) سورة الحج : ٢٤ .  
نفعنا الله واياكم بما نقول ونسمع ، والله الموفق .

محايل عسير

١٤٤٢ / ١٠ / ٥ هـ

## (١) القرآن وحياة القلوب ..!

للقرآن سر عجبٌ في حياة القلوب ، ومداواة سقمها قسوتها  
وجفائها ، فإذا ما أحسست بشيء على قلبك ، فانظر للقلبِ  
كيف حاله مع القرآن ، وما مدى تأثره ، وهل يتفاعل معه  
وينشرح ، وتلج إليه المواعظ .. بحيث يرق عند سماعه ، ويبكي  
عند توجيهاته ونذره ، وهو ما كان عليه السلف الأوائل ،  
وأنكروا أنفسهم حينما ذهب ذلك البكاء ، وجفت الدموع  
منهم ..!

( ولَمَّا قَدِمَ أَهْلُ الْيَمَنِ فِي زَمَانِ أَبِي بَكْرٍ فَسَمِعُوا الْقُرْآنَ جَعَلُوا

يَبْكُونَ ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ : هَكَذَا كُنَّا ، ثُمَّ قَسَتِ الْقُلُوبُ ) (١).

فالصديق رضي الله عنه ، لا يكتفي بمجرد اللذة والسرور، بل  
يطالب نفسه بالبكاء كما في السابق، وأن ذلك تغير ذهب عنهم،  
والله المستعان . قال تعالى: ( إِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمُ آيَاتُ الرَّحْمٰنِ  
خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا ). سورة مريم ( ٥٨ ).

ولكنهم بسبب القسوة الواقعة حالت دون ذلك الشرف رضي  
الله عنهم ، فكيف بحالنا نحن ...؟! وقراءة مهترئة، وورد مضيع،  
وغفلة مستديمة ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم (١).

---

(١) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة  
الكوفي ، برقم ( ٣٥٥٢٤ ) ( ٧ / ٢٢٤ ).

## (٢) قيمتك في الحياة...!

وسبب العيش عند أهل الإيمان ، وكيفية اختيار أطايبها  
وثمراتها ، سؤالٌ يجب أن نتفكر فيه ، وأن نتأمل سر وجودنا  
الديني ..! واستمع كيف فهم الصالحون قبلنا . قال عمر  
الفاروق رضي الله عنه : ( لولا أن أسير في سبيل الله ، وأضع  
جبهتي لله ، وأجالس أقواما ينتقون أطايب الحديث ، كما  
ينتقون أطايب الثمر ، لم أبال أن أكون قد مُت ) (١).

فخلصتها عند أهل الهمم ، سير في سبيل الله ، أو ركعات  
خاضعات ، أو مجالسة أبرار ، صانوا ألسنتهم ، وانتقوا  
كلماتهم ، وما عدا ذلك ، فالموت أحب إليه ..! لأن ذلك

(١) البيان والتبيين ، للجاحظ ، تحقيق : فوزي عطوي ( ١ / ٣١٠ )

مقصود الإسلام من الحياة، فهي ليست للعبث والضياع، قال  
تعالى: ( أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ )  
سورة المؤمنون ( ١١٥ ). فديننا منزّه عن أن يعيش أهله مجرد  
أدوات عبثية في الدنيا ، لا عملٌ ولا قيمة، ولا تقوى ولا إنابة ،  
وهذا يحملك على محاسبة النفس ، ومراجعتها على الدوام،  
والدفع بها إلى ميادين الإيمان والصلاح، والمحافظة على  
الأوقات ، ومجالسة أرباب الهمم والعزائم، فإن مجالستهم  
تغير الأفكار ، وتُصلحُ اعوجاج السلوك..!



### (٣) هم الدنيا والآخرة..!

للدنيا همومها ، التي تخنقُ العبد، وتثقلُ كاهله ، وللآخرة هموم كذلك ، ولكن هموم الدنيا بسبب طبيعتها وطبيعة الإنسان ، تستجلبُ الكثير، وتغر الجماهير ، وتفتن الناظرين ، يقول الخليفةُ عثمان رضي الله عنه : ( همُّ الدنيا ظلمةٌ في القلب، وهم الآخرة نورٌ في القلب )<sup>(١)</sup>.

وهنا درسٌ مهم أن هموم الدنيا وإنْ غرت ابتداءً ، تورثُ الظلمة والوحشة ، ومصيرها الإتعاب والإضرار ، وأما هموم الآخرة ، فهي نورٌ ويقظة، وصحةٌ واستبشار ، ولذلك حذر القرآن والسنن من الدنيا وفتنها، وقال صلى الله عليه وسلم : ( الدنيا

(١) الزهد ، لأبي بكر بن أبي الدنيا بن أبي الدنيا ( ٢ / ٤٠ ) .

ملعوناً ملعوناً ما فيها..) وكان من دعائه الجميل : (اللهم لا  
تجعل الدنيا أكبرَ همنا ، ولا مبلغَ علمنا).  
والاهتمام بها يفقد المرءُ بها تركيزه ودينه وصلاته وخشوعه،  
مما هو مؤذنٌ ببلاءٍ على صاحبه ، والذي قد ينتهي كما قال ذو  
النورين إلى ظلمة القلب وشقاوته، ولا أشرَّ من مرض القلب  
وحسرتة، والله المستعان .

## (٤) طلاق الدنيا...!

عسيرةٌ هي الدنيا وفاتنة ، ويصعبُ علينا هجرُها والانفكاك من مفاتنها، لا سيما وهي غارّة، وزخارفها آسرة ، ولكن بالصدق وحُسن التدين ، قد يعرض عنها صالحون ويتطلعون إلى الدار الآخرة ، كما قال تعالى : ( إنا أخلصناهم بخالصةٍ ذكرى الدار ) سورة ص .

ومن مواعظ عليّ رضي الله عنه ، وقد قالها وهو يبكي بكاء الحزين ، ويقول : ( يا دنيا؟ يا دنيا غري غيري ، إليّ تعرضت؟! أم إليّ تشوقت؟! هيهات ، هيهات ، قد بايتك ثلاثا لا رجعة فيها ، فعمركِ قصير ، وعيشك حقير ، وخطرك يسير )<sup>(١)</sup>.

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، لأبي نعيم الأصبهاني ( ١ / ٨٥ )

فالصالحُ هنا يتحدى باصرار ، ويطلقها ثلاثاً ، ويعلن التباعد عنها، ثم يكشف سبب ذلك، وهو أن عمرها قصير، فكم ستعيش فيها، ..؟! وعيشها حقير، مهما بلغ حسنه وجماله ، فمتهاه الزوال والذبول!! وخطرها يسير ، لأنه هين بالنسبة إلى خطر الآخرة وأهوالها وشدائدها ..! قال تعالى: ( فلا تغرنكم الحياةُ الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ) سورة لقمان (٣٣).

## (٥) رؤوسُ الأموال!

عظيمةٌ هي رؤوسُ الأموال عند أصحابها ، لا يُضيعونها ، ولا يضحون بها ، ولا يغامرون مغامرةً تودي للإفلاس ، وكذلك هي الفرائض الشرعية ، والواجبات المحتويات كالصلوات الخمس ، يقول العابد الفضيل بن عياض - رحمه الله - : ( الفرائضُ : رؤوسُ الأموال ! والنوافل : الأرباح )<sup>(١)</sup>.

فاحفظ رأس مالك بلا تأخير ولا تقصير ، وصننه من الضياع والهلكة ، واحرصه بالجد والمواظبة ( حافظوا على الصلواتِ والصلوةِ الوسطى ) سورة البقرة (٢٣٨) . وكن عالي الهمة في

---

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد

، للحارثي المشهور بأبي طالب المكي ( ٢ / ١٦٧ )

الخيرات... وأشرفهم من كان أشرفَ همّةٍ... وأكثرَ إقداماً

على كل مُعظمٍ

والحفاظُ عليها وقتاً وخشوعاً وانتظاماً ، يحملك على حبِّ

النوافل وإتقانها ، وهي الأرباحُ الناتجة عن تلكمُ المواظبة

الشديدة ، وفي الحديث القدسي ( وما تقرب إلي عبدي بشيء

أحبَّ إلي مما افترضتُ عليه ، وما زال عبدي يتقرب إليّ

بالنوافل حتى أحبه..).

فاغنم تلك الأرباح التي هي من ثمرات الفرائض المؤكدة ،

والتزمها كما التزمها الصالحون قبلك ، وهي ميدان المنافسة

والمضاعفة في الدنيا والآخرة ، وفقنا الله وإياكم لكل خير ،

وجعلنا من عباده المصلين المخبئين .

## (٦) الحنينُ الى رسولِ الله..!

من معجزاته عليه الصلاة والسلام حنينُ الجذعِ إليه كما تحنُّ<sup>١</sup>  
العشار كما في الحديث المشهور ، فيتأمل ذلك الإمامُ الحسنُ  
البصري رحمه الله ، ويتعجب ويعطينا درساً في الوعي الإيماني  
والخلقي ، حيث كان يبكي إذا حدّث بحديث الجذع الذي  
بكى لَمَّا فارقه النبيُّ صَلَّى اللهُ عليه وسلم ويقول:

( يا عباد الله، .. الخشبَةُ تحنُّ إلى رسولِ الله صَلَّى اللهُ عليه  
وسلم؛ شوقاً إليه لمكانه من الله، فأنتم أحقُّ أن تشاقوا إليه)<sup>(١)</sup>.

(١) انظر: فتح الباري شرح صحيح البخاري ، لابن حجر أبو الفضل العسقلاني ، برقم

فهذه شجرة اعتادت على الخطاب النبوي والتوجيه الرسالي  
المفيد ، الذي يحرك الجوامد ، ويفلق الصخور ، ويحي

الضمائر ، فلما فارقتها بكت وحتت ، ...!

فكيف بالبشر الذين تربوا في هديه ، ودرسوا سنته ، وعاشوا

أخلاقه ..؟! كيف لهم أن ينسوا تلكم السنن ، وتغيب عليهم

مواعظ الأحاديث ، ومصابيح الآثار ..؟! لنراجع يا أحبة موقفنا

من الشرائع ، ولم تجف القلوب من الانتفاع بهذه السنن

والتوجيهات ..؟!!

وليعلم أن عدم الحنين مؤشراً قسوة وضياع ، أو ذنوباً ومتاع ،

ولا حول ولا قوة إلا بالله .



## (٧) الزاهد الحقيقي..!

ليس الذي يتماوتُ في مشيته، أو يخشوشنُ في ملبسه، أو يتلاين  
في كلامه، بل هو الذي ينكسرُ قلبه من داخله، وتخشعُ جوارحه  
لذكر الله ، ويتعلق بالآخرة ، ويأخذُ أموره بالحزم والمسارة ،  
تقول عائشة أمُّ المؤمنين رضي الله عنها لما رأت رجلاً متموتاً  
: ( ما هذا؟ فقيل لها: زاهد . قالت: كان عمر بن الخطاب زاهداً  
، ولكنه كان إذا قال أسمع، وإذا مشى أسرع، وإذا ضرب في  
ذات الله أوجع )<sup>(١)</sup>.

فالزهد في حقيقته : " ترك ما لا ينفع في الآخرة " . من حظوظ  
الدنيا ، وزخارف الأموال .

(١) نشر الدر في المحاضرات ، لأبي سعد منصور بن الحسين الآبي ، (١٤ / ٤)

والتركُّ من القلب ، زهدٌ في الدنيا وتطلعٌ في الدار الآخرة ، وما  
عند الله تعالى .

والزهدُ غالبه في القلب وليس في السلوك المتماوت ، ولا الجسد  
الهزيل ، ولا التعامل الرخي..!

ولذلك يعرفه بعضهم : " بأنه سفرُ القلب من وطن الدنيا إلى  
الآخرة " .

ولو تنعمت ملابسُه ، واشتد صوتُه ، وعظُم غضبُه ، فها هو عليه  
الصلاة والسلام كان زاهداً في الدنيا ، غضوبا إذا انتهكت محارمُ  
الله ، وإذا مشى كأنما ينحطُّ من صبيب ، غير متعالٍ ولا  
مستضعف ، واللهُ تعالى أعلم .

## (٨) حقيقة الموت ..!

أنه حق ثابت، وقضية محتمة، ونهاية مؤكدة، كتبه الله على الكائنات، لا يمنع منه قوة، ولا تدفعه أموال، ولا تحول منه سلطة... (كل نفس ذائقة الموت) سورة آل عمران (١٨٥).  
وليس له وقت محدد عندك، بل يأتي فجاءة، ويهجم بغتة، ويزور بلا موعد، ويقتحم في أفراح وأحزان..! ( فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ) سورة الأعراف (٣٤).

ولذلك لما قال الرشيد لابن السمّك : ( عِظْني وَأَوْجِزْ، فقال :  
اعلم أنك لستَ أولَ خليفةٍ يموت )<sup>(١)</sup>.

(١) سيرة عمر بن عبد العزيز على ما رواه الإمام مالك بن أنس وأصحابه، لأبي

محمد عبد الله بن عبد الحكم، ( ١ / ٩٤ )

لأنه الحقيقة القاطعة ، والكلمة الصادقة، لا يفر منه مخلوق،

ولا يتجاوزه مسؤول..!

والمهم استعد يا عبد الله ، وأصلح من حالك ، ودقق في

شؤونك ، وتحلل من عباد الله، وتزود لنفسك، ولا تأت إلى الله

بمظلمة فتنتهي إلى حال المفلس ، الذي يتجرد من حسناته،

ويقابل غرماًه...!

## (٩) لا تفجع في أخلاقك ..!

ما أعطيَ عبدٌ كرامةً ولا جمالاً كصدق لسانه، وسلامة منطقته  
ولذلك كان الصادقون في أعلا المنازل ( يا أيها الذين آمنوا اتقوا  
الله وكونوا مع الصادقين ) سورة التوبة . وقال تعالى : ( فلو  
صدقوا الله لكان خيرا لهم ) سورة محمد . ومن جميلِ كلامِ  
القاضي العادل إياس بن معاوية رحمه الله : ( امتحنتُ خصالَ  
الرجال ، فوجدت أشرفها صدقَ اللسان .! ومن عُدِمَ فضيلة  
الصدق ، فقد فُجِعَ بأكرم أخلاقه ) (١).

ولذلك يتساهلُ كثيرٌ من الناس في الكذبِ والتورية والمخادعة  
، حتى يقعوا في مستنقعِ الكذب، فيجري على ألسنتهم جريانُ

(١) تهذيب الكمال، للزمي، (٣ / ٤١٣)

الهوى والملذة ، وقد قال صلى الله عليه وسلم ( وإياكم  
والكذب فإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى  
النار )<sup>(١)</sup>. عياداً بالله من ذلك .

ومن حُرْم صدق اللسان فقد فُجع في أطيب أخلاقه وأعظمها ،  
لأن المؤمن يطبع على سائر الخصال إلا الخيانة والكذب ،  
والله المستعان .

(١) مسند الإمام أحمد بن حنبل ، برقم (٤١٠٨) (١ / ٤٣٢).

## (١٠) استباق الأعمال..!

مَنْ تَفَكَّرَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَمَا يَنْتَظِرُهُ تَهَيَّأْ وَاسْتَعِدْ، وَعَرَفَ أَنَّ  
الْقَادِمَ شَاقٌّ عَسِيرٌ، يَتَطَلَّبُ الْجِدَّ وَالْمَسَارَعَةَ، وَلِذَلِكَ كَانَتْ  
الْآخِرَةُ وَالتَّهَمُّمُ بِهَا أَحَادِيثَ الصَّالِحِينَ قَبْلَنَا، يَقُولُ أَبُو ذَرٍّ  
رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ( يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي لَكُمْ نَاصِحٌ، إِنِّي عَلَيْكُمْ  
شَفِيقٌ، صَلُّوا فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ لِوَحْشَةِ الْقُبُورِ، صُومُوا فِي الدُّنْيَا  
لِحَرِّ يَوْمِ النُّشُورِ، تَصَدَّقُوا مَخَافَةَ يَوْمِ عَسِيرٍ )<sup>(١)</sup>.

فهو هنا يحض على عمل صالح، وطاعة مباركة، وسباق  
سريع، ويستحضر موتاً يستقبله بوحشته، وأهوال الحر  
الشديد، وعرصات القيامة النكيدة .

(١) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، لأبي نعيم الأصبهاني، (١/ ١٦٥)

ولا ينفع معها إلا حسنُ عمل وإخبات ، وتوبة وأذكار ،  
فالصلاة مؤنسة ، والصوم وقاء ، والصدقةُ منجية ، فهي التي  
ستؤنس المقبور ، وتفرح المكروب ، وتداوي المغموم ( إنا  
نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ) سورة الإنسان ( ١٠ ) ، أي  
شديدا طويلاً ، ضنكاً ضيقاً ، تُرى معالمه على وجوه الكفار ،  
عافانا الله وإياكم من ذلك وختم لنا بخير .



## (١١) فضلُ الصالحين ..!

من فضائل الصالحين طيبُ كلامهم، وحسنُ حديثهم وروعةُ مجالسهم، وفي ذكرهم علمٌ ووعي، وتذكرٌ وعظة، وحكمةٌ وفائدة، يقول الإمام بشر الحافي رحمه الله: «بحسبك أن قوماً موتى تحيا القلوبُ بذكرهم، وإن قوماً أحياءً تقسو القلوب برؤيتهم»<sup>(١)</sup>.

وها هي نتيجةُ مسك الصالحين ومجالسِ الخير والمكرمة، كما في حديث الصداقة (كحامل المسك ونافخ الكير). بحيث تطيب المجالسُ بهم وبأخبارهم، ويجعل الله من أقوالهم منهجاً وقبولاً، لأنهم صدقوا ما عاهدوا الله عليه، وبرّت

(١) صفة الصفوة، لابن الجوزي، (٢ / ٣٣٣)

أعمالهم ، وزانت خصالهم ، ولم يُروا في المساوىء والمغاضب

!..

فتخير أصدقاءك ، وانتقِ جُلاسك ، وابحث عن منافعك ،

وتباعد عما يسوؤك ويضرك ..، لئلا تصيبك ساعة الحسرة

والندم .. ( يقول يا ليتني لم أتخذ فلاناً خليلاً ) سورة

الفرقان (٢٨) .

وكما تنتفع بالأخيار ، سيؤذيك الأشرار ، بحديثهم ومكرهم

وسوء أخلاقهم ، والله المستعان .

## (١٢) صلاح السرائر...!

غالبًا ما تؤتى بلايا المرء أو محاسنه من سريره ودواخله،  
ولذلك عظم الإسلام شأن القلب ومعالجته والعناية به، كما في  
حديث المضغة، ( إذا صلحت صلح الجسد كله، ألا وهي  
القلب ).

فاستصلح قلبك، وداوِ نفسك، واستيقن عائد بركته عليك  
وعلى شؤونك، يقول الإمام ابن تيمية - رحمه الله - : ( إذا  
حَسُنَتِ السَّرَائِرُ أَصْلَحَ اللَّهُ الظَّوَاهِرَ )<sup>(١)</sup>.

وإنما هي تصلح بالإيمان بالله، والمعتقدات الشريفة،  
والأعمال القلبية الجليلة، وتطهيره من كل صور الشرك

(١) كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية، (٣ / ٢٧٧)

والشوائب والخرافات. فهو محلُّ نظر الرب، ومصدرُ صلاح  
العبد.

وأدواتُ ذلك تلاوةُ القرآن، واستدامة الأذكار والدعاء،  
والمسارعةُ في الخيرات، والتباعد عن المعاصي والذنوب،  
ومدافعة الشرور والأهواء، حتى يصير القلبُ سليمًا منيبًا،  
نسأل الله تعالى من فضله .

## (١٣) ذوبان قلب المؤمن..!

تمرُّ على قلوب المؤمنين ساعاتٌ ولحظاتٌ، يشعرون فيها  
بالتعب والحسرة، والضيق والألم، من جراء تقصيرٍ حصل، أو  
منكرٍ برز، أو فتنةٍ داهمة، ولا يستطيعون معها حَولاً ولا طولاً  
!..

يقول الحبرُ ابن عباس -رضي الله عنه- : ( يأتي زمانٌ يذوبُ فيه  
قلب المؤمن، كما يذوبُ الملحُ في الماء. قيل: ممّ؟ قال: مما  
يرى من المنكر لا يستطيعُ تغييرَه )<sup>(١)</sup>.

(١) كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي المتقي بن حسام الدين

الهندي، (٣ / ٢٧٤)

وهذه صورةٌ من صور المتاعب والذوبان الإيماني، بحيثُ أن  
المؤمن لا يستطيع تغيير المناكر، ولا بذل النصائح، أو حشد  
المواعظ ..!

قد لاذ بالصمت، وتقمص الذلة والسلبية ..! ولكن لبقاء إيمان  
طيب معه، يتحسر ، ويتفطر قلبه، وتدمى نفسه، بحيثُ يعبر  
بالقلب الدامي ، والشعور الكئيب ، والله المستعان .

## (١٤) الشوق إلى الله..!

للصالحين شوقٌ إلى ربهم وتعلقٌ ، ومحبةٌ وإنابة ، ولهجٌ  
وتلذذٌ، بحيث تكون أحلا ساعاتهم ذكرُ الله، وحسنُ الشاء عليه،  
والخضوع بين يديه تعالى .

لا يُشغلهم عنها محابٌ ، ولا تصرفهم أموال ، ولا تُذهبهم  
نفائس ...!

واستمع هنا إلى مقولة غراء لأحدهم، وقد استولى عليه حب  
الله والتلذذ بعبادته، والانهماك في طاعاته .

سَمِعَ بعضهم العابد يحيى بن معاذ رحمه الله يقول في دعائه: (   
إلهي: أحلى العطايا في قلبي رجاؤك، وأعذبُ الكلام على  
لساني ثناؤك، وأحبُّ الساعات إليّ ساعة يكون فيها لقاءك )<sup>(١)</sup>.

(١) مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين لابن القيم (٢٨٣)

ومثل هذا هانت عليه الدنيا وشهواتها...! وهي منزلة رفيعة لا  
تُحصّل إلا بمقدمات روحانية ، والتزامات نورانية، أولها  
فرائض الله وحدوده، واللهج بذكره ومحبته، والترفع عن مناهيه  
وزواجره، وأن يكون حب الله تعالى فوق كل المحاب ، وأرفع  
الأماني ، وأعظم المكاسب والأرباح ، وتلكم هي الحياة  
الحقيقية ، وحلاوة الإيمان المنشودة ، وفي الحديث ( أن يكون  
الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما ) وفقنا الله وإياكم لكل خير  
وطاعة .



## (١٥) أثر عز الطاعة...!

للطاعة عزةٌ فريدة، وغنىٌ فاخر ، ومناعةٌ عالية، وسرورٌ

عجيب...!

من استطعمها فاز وأفلح ، واستغنى وأنجح ، وارتقى وانتصر.

يقول جعفرُ بن محمد المعروف بالصادق رحمه الله: ( من نقله

الله عز وجل من ذل المعاصي إلى عز الطاعة ، أغناه بلا مال،

وأنسه بلا أنيس ، وأعزه بلا عشيرة) <sup>(١)</sup>.

بحيث يكون لصيقُ الطاعات سعيدًا مسرورًا، قويًا بربه، غنيًا

بذكره ، أنيسًا بدعائه ، قد استغنى عن الناس ، واكتفى بعبادته،

وخلا بالله ورازقه...! وأخذه محمود الوراق فقال:

هاك الدليل لمن أراد \*\* غنى يدوم بغير مال

(١) صفة الصفوة (٣ / ١٣٢)

وأراد عزَّالِم توطُّده \*\* العشائرُ بالقتالِ

ومهابةً من غير سلطانٍ \*\* وجاهاً في الرِّجالِ

فليعتصم بدخولهِ \*\* في عزِّ طاعة ذي الجلالِ

وخروجه من ذلة العاصي له في كلِّ حالٍ !!

فيا عبدَ الله لا تغرنك معاصٍ فاتنة، أو ذنوبٌ شاغلة، وانهض إلى

طاعة ربك، ذاكراً عزيزاً، ومنياً سعيداً، وداعياً متيناً. فالطاعة

عزٌّ وأنسٌ باتفاق الصالحين والتائبين والمتقربين، وفقنا الله

وإياكم.

## (١٦) العافية من الذنوب..!

أجملُ معاني الحياة، وأصفي مواردها أن يعافيك الله من  
الذنوب، وتتقي المعاصي بستر واق، يحميك في السراء  
والضراء، ويبغضها إلى قلبك، وتمر عليك الأيام، ولم  
تخدش تلك الاستقامة، أو تكدر تلك الصلاة المتكررة..!  
قيل للعابد الصالح حاتم الأصم رحمه الله " ماتشتهي؟ قال:  
"أشتهي عافيةً يومي إلى الليل، فقيل له - أليست الأيام كلها  
عافية؟ قال: إن عافيةً يومي أن لا أعصي الله فيه.." (١).

(١) شعب الإيمان، لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي، (٥ / ٤٥١)

فهو يعاينُ مغبةَ الذنوب، وأنها أشدُّ الأسقام، وأفتكُ الأدوية ،  
فضررها قاتل، وسهمُها نافذ، وعاقبتُها تعيسة ، والدواء منها  
مُكلف، وآثارها لا تضاهي ، فوجبت الحيطَةَ والحذر ..!  
ويكفيك من ضررها فقدانُ الراحة والسعادة، وانعدامُ البركة،  
وتكدر الحال، والتقاعسُ في الخيرات ، وتسلبُ الشيطان،  
وذهابُ الوقت، ومجالسةُ الأشرار ، ولذلك كانت كشعلة  
حمراء قاتلة، أو حفرة دهماء غائرة ، وجب التخوف منها،  
ومقابلتها بحسن العمل ، والهروع إلى ميادين البذل والطاعات  
، واللهج بالذكر والعصمة منها ، ومن لطيفِ الأدعية الثابتة :  
اللهم ألهمني رشدي، وقني شر نفسي) ...

## (١٧) نقص الدنيا ..!

لا تلتحفُ بالدنيا، ولا تتعزز بها مهما رأيتَ من محاسنها ، أو  
غرَّتكَ زخارفُها، أو أعجبك عزُّها، فإنها منقوصة مردولة ،  
وذاهبةٌ مقطوعة، وهكذا جلاها القرآن ، وبينتها السنن . وهي  
كذلك لمن اعتز بها من الخيار ، تُنقصه من حيث لا يحتسب،  
وتصرفه وهو لا يشعر ، يقول عبدالله بن عمر رضي الله عنهما  
في كلمة بليغةٍ وجيزة : ( والله لا ينال أحدٌ من الدنيا شيئاً ، إلا  
نقص من درجاته عند الله ، وإن كان عنده كريماً )<sup>(١)</sup>.

والسببُ أن نيلها زيف، ونولها نقصان، ومكسبها غرم،  
وعطاءها بلاء، فكم من صلحاء غرتهم، ومن فضلاء شغلتهم،

(١) صيد الخاطر لابن الجوزي ( ١ / ٢٨٦ )

وعلماء أردتهم ، فضيعوا ما ملكوا لبعض ما أحرزوا ، وفاتهم

ما عظموا به ، لنزر ما تحصلوا عليه...!

فاحذروا الدنيا ، وخذوا منها ببلغتكم بلا إسراف ولا مبالغة، قال

تعالى: ( اَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌّ وَلَهُمْ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ

وَتَكَاتُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ) سورة الحديد (٢٠) .

## (١٨) مجالسُ نادرة..!

لا تزيدنا خلطةُ الناس إلا تعبًا وحسرة، من جراء التوسع في

الكلام، وكثرة اللغو، وشدة الهديان، ولذلك يعيها الصالحون

فيتخفون منها، ويفكرون فيما ينفعهم، ويركزون على

المجالس النافعة، والخلوات النافعة..!

كمطالعة الكتب، والانغماس في القراءة، جدًّا وبحثًا ومطالعة،

وتحصيلهم من ورائها يقينًا ووعيًا وانتفاعًا..!

قيل للعالم المجاهد ابن المبارك رحمه الله : ( أنت إذا صليت

لم لا تجلس معنا؟ قال : أجلس مع الصحابة و التابعين ، أنظر

في كتبهم و آثارهم ، فما أصنع معكم ؟ أنتم تغتابون الناس (١)

والمعنى التفرغ للعلم والقراءة ، والعيش مع الجيل الفريد  
بقيادة رسول الله عليه الصلاة والسلام وصحابته الكرام، الذين  
نقلوا دينه، وبلغوا شريعته.

يخلو بالمرويات فيجني علمًا ، ويصون وقتا ، ويحفظُ عقلا،  
ويتعلم فائدةً، ويحوز مسألةً ، ويزداد إيمانًا واستنارة..!  
ويسلمُ قبل ذلك وبعده كله ، من آفات اللسان، وغوائلِ  
المجالس ، والله الموفق .

(١) سير أعلام النبلاء، للذهبي (٨ / ٣٩٨)



## (١٩) درس في المواساة..!

غلبَ على الناس أنَّ المواساةَ بالمال والطعام والإهداء فقط ،  
وتناسوا أن هنالك درسًا في المواساة ، ونوعا آخر يملكه  
الجميع ، وهو المواساة بالأخلاق والبسمات ، وهي سهلةٌ بلا  
ثمن ، ولا تكلفُ جهدًا ، ولا تحمل تبعات ، يقول الإمامُ العابد  
إبراهيم بن أدهم رحمه الله : ( ذهبَ السخاءُ والكرم ، والجود  
والمواساة ، فمن لم يواسِ الناسَ بماله وطعامه  
وشرابه ، فليواسِهم ببسط الوجهِ والخلق الحسن )<sup>(١)</sup>. وكما قال  
بعضهم :

(١) حلية الأولياء ، (٧ / ٣٨٩)

وما الخصبُ للأضياف أن يكثرَ القِرَى \* \* \* ولكنما وجهُ الكريمِ خصيبُ  
فمن عزَّ ماله ، أو شُغل ، أو غلبت عليه دنياه، فلا ينسَ المواساة  
الأخرى، والتواصل الأخوي، من خلال بسمات مبذولة ،  
وأخلاقٍ معسولة، وشمائِل ممدودة ، كما هو هدي رسول الله  
صلى الله عليه وسلم، يقول جرير : " ما حجبني رسول منذ  
أسلمت ، ولا رأني إلا تبسم في وجهي ".  
والناسُ لا يريدون مالكَ بعبوسٍ وارتفاع، ولكن يحبون  
بسمتك بصدق وتواضع ، فواسِهم بمحاسن الأخلاق ، وتوددْ  
إليهم برفيع المعاملة ، قال تعالى في وصف رسوله الكريم :  
وإنك لعلی خلقٍ عظیم ) سورة القلم . فتأسَّوا بهذه الآية ،  
ولنعشها في حياتنا وسلوكنا ، والله الموفق .

## (٢٠) فن احتواء العصاة ..!

هم إخواننا وإن عصوا ، وأقاربنا وإن بغوا ، وجيراننا وإن شذوا ،  
ولا نزال نناصحهم ونتألفهم ، حتى يهديهم الله سبيل السلام ،  
وطرق الهداية ..!

وهنا موقفٌ عجيب لبعض أئمة السلف ، فقد دخل على الإمام  
مالك بن دينار رحمه الله ، لَصَّ فما وجد ما يأخذ ، فناداه مالك  
: لم تجد شيئاً من الدنيا ، فترغب في شيء من الآخرة ؟ قال :  
نعم ، قال : توضأ وصل ركعتين ، ففعل ثم جلس وخرج إلى  
المسجد ، فسئل من ذا ؟ قال : جاء ليسرق فسرقناه. <sup>(١)</sup>

(١) سير أعلام النبلاء، (٥ / ٣٦٣)

وهذا نوعٌ من فنّ الاحتواء ، والصبر على الجفافة، وتأليف  
الغواة، فلم يعنفه ، أو يثرب عليه، بل دعاه، وقد فاته متاع الدنيا  
، أن يستعد لمتاع الآخرة ، ويتزود بأكسير السعادة، ومنابع  
الخير واللذاعة ( وتزودوا فإن خير الزاد التقوى ) سورة البقرة  
(١٩٧).

وذلك هو هدي القرآن والسنة ( ولو كنت فظاً غليظ القلب  
لانفضوا من حولك ) سورة آل عمران(١٥٩).  
ولذلك إنما تُسرقُ قلوبُ الناس بحسن الخلق ، وتُخطفُ  
أنظارهم بالتودد والحكمة ، وتنفعُ المواعظ وقد صبغت  
بالطيب والليونة واللفظ .

وهو درس للدعاة وطلاب العلم، أن يرافقوا بإخوانهم الذين  
زلّوا، كما قال صلى الله عليه وسلم في شارب الخمر.. ( لا

تَقُولُوا هَكَذَا، لَا تُعِينُوا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ (١). ومرةً: ( لَا تَلْعَنُوهُ،

فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهُ وَرَسُولَهُ ). رزقنا الله وإياكم حسن

الخلق والحكمة .

---

(١) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه ، برقم (٦٣٩٥) (٦ / ٢٤٨٨)

## (٢١) كمالُ الرجال...!

ليست الرجولة مجرد الذكورة والشدة واقتحام الهول، والتسلط على الناس..! كلا فلا تزال هنالك صفات يحتاجها الرجال، وقد لخصها الإمام الشافعي في أربع محددة، وخصال مباركة، ليس منها مناص، لمن أراد الرجولة الحقيقية، والفخار المطلوب..!

يقولُ الإمامُ الشافعي رحمه الله: ( لا يكملُ الرجلُ إلا بأربع :  
بالديانة، والأمانة، والصيانة، والرزانة )<sup>(١)</sup>.

الديانة سلامةُ دينه، وحسن استقامته وإقباله على ربه رغبا ورهبا .  
والأمانة في أداء حقوق الناس وحفظ ودائعهم ، والقيام بكل

---

(١) سير أعلام النبلاء ( ١٠ / ٩٨ )

التكاليف الشرعية . والصيانة بحفظ الجوارح ، وضبط السلوك  
، فلا تجاوزَ ولا شطط، ولا سوء ولا تجاسر، بل عفيفٌ متعفف  
، مهذبٌ مترفع . والرزانة وقارٌ محفوظ ، وهدوءٌ ملحوظ ،  
وحكمةٌ ريانة ، وعقلٌ موفور ، فلا اندفاع غاشم ، ولا حماس  
مداهم...!

بالديانة تمنع الانحراف ، والأمانة تدفع الغش والخيانة ،  
والصيانة عفة وورع تمنع التطاول ، والرزانة تمنع الطيش  
والتهور ، والله الموفق .

## (٢٢) لذة قيام الليل...!

لقيام الليل لذاتٌ ومحاسن لا يدركها إلا أصحابُه وسُماره ،  
الذين تَفَانُوا في حبه ، وذابوا في أسراره ، بحيث لا يفوتهم البتة ،  
ولو غفلوا تعبوا ، أو ناموا تأثروا بفقده.. ( كانوا قليلاً من الليل  
ما يهجعون ، وبالأسحار هم يستغفرون ) سورة الذاريات  
(١٧، ١٨) .

ولذلك أهله ومرتادوه يفتح عليهم فيه فتوحات ، ويجنون منه  
مكائز ورحمات، هي أرقى الملاذ ، وأبهى المنافع والمغانم  
عندهم .

قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: ( أهلُ الطاعةِ بليهم ، ألدُّ  
من أهلِ اللهو بلهوهم ، وربما استقبلني الفرحُ في جوف الليل ،  
وربما رأيتُ القلبَ يضحكُ ضحكًا )<sup>(١)</sup> .

(١) المجالسة وجواهر العلم ، لأبي بكر الدينوري القاضي المالكي ، ( ١ / ٩١ )



وهذا تعبيرٌ عن السعادة الغامرة ، المستولية على نفوسهم ، فهم  
في لذة وعلم ، وفقه وسرور ، وإيمان وتعلم ، ورسوخ وانسراح .  
ولمتعتهم العالية فاقوا ملذات وأسمار أهل اللهو والطرب ،  
فهم لن يصلوا إلى حلاوة اللذة الحقيقية ، ولن يبلغوا منتهى  
السعادة الإيمانية .

فللذكر سعادةٌ نادرة ، وللصلاة متعة خاصة ، فهي قرة عيون  
الموحدين ، وصفاء روح الصالحين ، نسأل الله من فضله .

## (٢٣) المحاملُ الحسنَةُ ..!

كثيراً ما تشبُّ خلافات وخصومات بين إخوةٍ وجيران ، بسبب سوءِ الفهم، أو سرعة التفسير ، والواجبُ إحسان الظن ، والبحثُ عن مخارج ما دامت محتملة ، وفي هذا السياق الاجتماعي والتربوي يقول الخليفة الصالح عمر بن عبد العزيز رحمه الله ناصحاً ابنه : ( يا بني إذا سمعتَ كلمةً من امرئ مسلم، فلا تحملها على شيء من الشر ، ما وجدت لها مَحْمَلاً من الخير )<sup>(١)</sup>.

وهذا درسٌ في التسامح والعفو وإحسان الظن، ودرء المشكلات، لأن الألسنة فتاكة، وآفاتها كثيرة ، وتجاوزاتها مستطيرة ، فإذا

(١) حلية الأولياء ( ٥ / ٢٧٨ )

أمكن درء المشكلة بفهم وقبول، واحتمال محبوب ، فالأحكم  
دفعها بالتي هي أحسن ، حفاظاً للعلاقة، وتغليباً للإخوة ،  
وصيانةً للحب والوئام ، لا سيما ومداخل الشيطان حاضرة،  
واعوانة جاهزة ، وهم حراس على الفتنة والإفساد ، والله لا  
يصلح عمل المفسدين .

## (٢٤) نسيان العلم..!

العلمُ ثمرةٌ يكرم الله بها عباده، فيستطيون حلواها، ويلمسون طيبها، ولكن قد تذهب هذه الكرامة، وتذبلُ هذه الثمرة، بسبب إهمالٍ أو معاصٍ أو تقصيرٍ وسوء عمل، ولذلك وجد الصالحون أثر لك في حياتهم، وأيقنوا أن للمعاصي أثراً في نسيان العلم واضمحلاله، وهنا يقول الصحابي الجليل ابن مسعود رضي الله عنه: (إني لأحسبُ الرجلَ ينسى العلمَ كان يعلمه، للخطيئة يعملها) (١).

فالخطيئةُ سُمٌّ مسموم، وداءٌ مدموم، يورثُ النسيان، ويُذهبُ البركة، ويُفتِّرُ الروح، ويُغلقُ الفهم، ويُنسى المقصود..!

(١) الزهد، لابن المبارك (١ / ٢٨)

ولذلك يجدها الصالح في حياته العلمية من جراء تقصيره أو هفواته وهناته، ولذلك يُدهنُ ذلك ويرقعه دائما بكثرة الاستغفار والتوبة والإنابة ، وقد كان صلى الله عليه وسلم يكثُر من الاستغفار يوميا سبعين إلى مائة مرة، استغفارا وإنابة وإخباتا (لولا تستغفرون الله لعلكم ترحمون ) سورة النمل (٤٦).

وفي الحديث المشهور: قال صلى الله عليه وسلم : ( إِنَّهُ لَيَغَانُ عَلَى قَلْبِي ، وَإِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ فِي الْيَوْمِ مِائَةَ مَرَّةٍ )<sup>(١)</sup>.

فتسلح يا مسلم كثيرا بالاستغفار ، والإقلاع ، والتوبة الصادقة، واعرف قدر العلم، وتباعد عن أسباب تلك المعاصي وفواتحها، وفقنا الله وإياكم لكل خير .

(١) أخرجه مسلم عن الأغر المزني برقم (٢٧٠٢) (٤ / ٢٠٧٥)

## (٢٥) مفاتيحُ الحبِّ الاجتماعي..!

يشتكى كثيرونَ من سوء الوضع الاجتماعي ، وقلّة العلاقات ، وضعف الصديق والخلان ، وقد يكون مفتاحُ الحل بيديهم ، أو السبب قد اكتنفه ولا يبادر إلى الأسلوب الصحيح ، وهو ما لخصه عمر رضي الله في هذه الحكمة الاجتماعية ، والموعظة الأخلاقية ، لمن أراد القبول ، والظهور الاجتماعي وكسب قلوب الناس ..

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ( إنَّ مما يصفِّي لك ودَّ أخيك أن تبدأه بالسلام إذا لقيته ، وأن تدعوه بأحبِّ الأسماء إليه ، وأن توسّع له في المجلس )<sup>(١)</sup>.

(١) الجامع في الحديث ، لعبد الله بن وهب بن مسلم القرشي ، ( ١ / ٣٢٤ )

فالمبادرُ بالسلام سمحٌ متواضع ، وسابقٌ مأجور ، وصاحبُ  
الحديثِ الأسر محل تقدير وقبول ، وبذل المجلس لأحبائك  
محل تبجيل عندهم ، ومعروف لا يذهب من نفوسهم..!  
وهذا جماعُ حسن الخلق ، فكيف لا يُحبُّ بعد ذلك ، تبسطُ  
بالسلام ، ونادى بأفضل الأسماء ، ووسع لهم في المكان تواضعًا  
وتقديرًا..! فهل يوجد من يكرهه بعد ذلك ..؟!!

وتلك هي إخوةُ الإسلام ، وكيفيةُ الترحيب بالناس والقادمين ،  
وفنُّ إزالة الغشاوة الاجتماعية من جراء الجفاء وصخب الحياة .  
ولئن تعقدت الحياة واشتدَّ غبارُها ، فلنمط ذلك بأخلاقِ الإسلام  
وآداب الإيمان ، ففيها قواعدُ بناء المجتمع المسلم ، وأصول  
التأليف الإيماني ، ومعاهدُ تقوية الأواصرِ والدعائم ( إنما  
المؤمنون إخوة ) سورة الحجرات ( ١٠ ) .

## (٢٦) النجاة الدائمة...!

من رحمة الله تعالى على عباده، أن فتح على عباده أبواب التوبة ، وجعل فيها منائر للسعادة والفرج، ولم يقنطهم ، أو يسد عليهم ، نوافذ رحمته، بل يفرح بتوبتهم ورجوعهم تبارك وتعالى :  
(وتوبوا إلى الله جميعاً أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ) سورة النور(٣١) .

يقول الصحابيُّ البطل علي بن أبي طالب رضي الله عنه: ( عجباً لمن يهلك ومعه النجاة، قيل له : وما هي ؟ قال : التوبة والاستغفار )<sup>(١)</sup> .

(١) إحياء علوم الدين، لمحمد الغزالي أبو حامد ، ١ / ٣١٣



فاجعلُ التوبة ديمتك ، والاستغفار عادتك، والذكر لهجك،  
والإنابة طبعك، فما نزلَ بلاء إلا بذنب، ولا رفع إلا بتوبة .  
ومهما كبرُ ذنبك، أو تعاظمت خطيئتك ، فاللهُ يمحوها ويغفرها  
إذا صدق العبد واستسلم وأتاب ، كما قال سبحانه : ( ويغفر ما  
دون ذلك لمن يشاء ) سورة النساء . فكل ما دون الشرك مغفورٌ  
متجاوز عنه، وحتى الشرك والكفريات ، إذا تيبَ منه تجاوزه الله ،  
ومحت الحسناتُ السيئات ، فاللهُ واسعُ المغفرة ، يفرح بالتائبين،  
ويقبل الآيبين ، ولا يرد سائلاً ، أو يمنع طالبا سبحانه وتعالى .  
واللهُ الموفق .

## (٢٧) وعي الغيبة ..!

من أشدّ الذنوب انتشارًا وغلبةً بين الناس، أكلةُ  
الحسناتُ، ومذهبةُ البركات، ومعكرة الصلات، وهي الغيبة،  
ذكرك أخاك بما يكره، وتعيبه بما يسوء ويشين...! (ويلٌ لكل  
هُمزةٍ لُمزةٍ) سورة الهمزة<sup>(١)</sup>.

ولذلك تنتهي بأهلها مفاليس يوم القيامة، من تسديدِ الغرماء  
وأربابِ الحقوق، ولذلك وعّاها العلامة الفدُّ عبد الله بن المبارك  
رحمه الله تعالى، فقال: ( لو كنتُ مغتابًا أحدًا لا غتبت والديّ،  
لأنهما أحقُّ بحسناتي )<sup>(١)</sup>.

(١) شرح صحيح البخاري، لابن بطال (٩ / ٢٤٥)

لأن الغيبة مذهبٌ متلفة، وواجبة السداد، وكلُّ الغرماء سيأتون يوم  
القيامة يطالبون بالعوض وبالחסنات جراء الوقيعة فيهم، والمرء  
أحوج ما يكون إلى مثقال ذرة من خير ترفعه، وتصرفه عن النار.  
لسانك لا تذكر به عورة امرئ... فكلك عوراتٌ وللناس  
ألسنٌ..!

فأحقّ بذلك الفضل الإجماري، الوالدان في حس ابن المبارك  
وحكمته، وليس الجيران والخصوم..!  
فالمقصدُ حسابانُ الكلام، وعد الألفاظ، والتوقي من آفات  
اللسان، وغوائل المنطق، فربّ كلمة أهلكتنا، وربّ غيبة  
أردتنا، وأمحقت خيراتنا وحسناتنا، والله المستعان.

## (٢٨) تضييعُ العمر...!

عُمْرُكَ فِي الْحَيَاةِ هِيَ مَدَّةُ ابْتِلَائِكَ ، وَهُوَ حِجَّةٌ عَلَيْنَا جَمِيعًا ،  
خُلِقْنَا فِيهِ لِلْعِبَادَةِ ، وَحُشِرْنَا لَهُ لِلطَّاعَةِ ، فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ  
التَّضْيِيعِ أَوْ التَّسْوِيفِ ، وَفِي الْحَدِيثِ : ( وَحَيَاتُكَ قَبْلَ مَوْتِكَ ) أَي  
سَارِعَ فِيهَا قَبْلَ النِّهَايَةِ وَالخِتَامِ ، فَتَنْدَمُ وَلَا تَسَاعَةَ مَنْدَمٍ !..  
يَقُولُ الْإِمَامُ سَفِيَانُ الثَّوْرِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ : ( مَنْ لَعِبَ بِعَمْرِهِ ضَيَّعَ أَيَّامَ  
حَرْثِهِ ، وَمَنْ ضَيَّعَ أَيَّامَ حَرْثِهِ ، نَدِمَ أَيَّامَ حَصَادِهِ )<sup>(١)</sup> .

وَمِنَ اللَّعْبِ بِالْعَمْرِ : تَضْيِيعُ الْوَأَجِبَاتِ الشَّرْعِيَّةِ ، وَعَدْمُ وَعْيِ  
حِكْمَةِ الْخَلْقِ ، وَالسَّيْرُ بِلا هَدْفٍ ، وَالانْجِرَارُ وَرَاءَ الْمَعَاصِي ،  
وَالعِبْثُ بِلا حُدُودٍ ، وَالرَّكْضُ وَرَاءَ الشَّهَوَاتِ ، وَالتَّقَاتُلُ عَلَى

---

(١) محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، لأبي القاسم الحسين بن محمد بن

المفضل الأصفهاني ، ( ٢ / ٣٩٥ )

زخرف الدنيا، وقطيعة الأرحام ، وأذية الناس ، ومجالسة

الأشرار، وأكل الأموال بالباطل ..!

ومن وقع في ذلك ندم يوم الحصاد ، وساعات النتائج في القيامة،

وانكشاف الحقيقة ، وإعلان الفائزين ( يوم تجد كل نفس ما

عملت من خير محضراً وما عملت من سوء.. ) سورة آل عمران

(٣٠).

حيث يأتي الفائزون بحسناتهم ومفاخرهم ، ويأتي هو بسيئاته

ونداماته ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ..!

## (٢٩) فاضح الدنيا..!

تنقص الدنيا بحوادثها ومكدراتها، وافتراق أهلها، وذهاب  
نعمهم ومكانتهم، وأشدُّ درس فيها، وأعظمُ عبرة هو تصرعهم  
بالموت ، وانتهاءهم بالمنايا القاتلة، والأجل المحتوم ، ( كل  
نفس ذائقة الموت ) سورة آل عمران (١٨٥).

فكيف لك أن تطمئنَ إلى زينة منقوصة ، ومتعة غير مأمونة ،  
ويعرصدها أجل مرصود ، وموعِدٍ محتوم...!؟

ولهذا قال الإمام الحسن البصري رحمه الله : ( فضح الموتُ

الدنيا، فلم يترك فيها لذي لبٍّ فرحاً )<sup>(١)</sup>.

(١) حلية الأولياء ( ٢ / ١٤٩ )

وفضحه لها بأخذ قاداتها وعظمائها وأغنيائها وصغارها وكبارها ،  
وإجهازه على ملذاتها ، وتفكيك جماعاتها ، وتحزين مسراتها ،  
وقطعه لأمجاد أهلها ، فلا كمال فيها دائم ، ولا عز فيها خالد ،  
ولا ثروة معها دائمة ..! فأى فضح لها بعد ذلك ...؟!!

ومن لم يتعظ فيها بموعظة الموت ونقصان كمالياتها ، فمتى  
عساه أن يتعظ وينتبه ...؟! وفي الحديث الصحيح ( هاذم  
الذات )

كلّ يومٍ خبر ، وتسمع بفاجعة ، أو تأتيك أخبار محزنة ..!

وفيها موعظةٌ للمتعض، وعبرة للمعتبر ( إنَّ في ذلك لذكرى لمن

كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ) سورة ق (٣٧) .

وما أحسن قول القائل :

كلُّ ابنِ انثى وإن طالت سلامتهُ \* \* يومًا على آلة حذباءَ محمولٌ<sup>(١)</sup>

ختم الله لنا ولكم بخير ..!

(١) من قصيدة البردة ، لكعب بن زهير، انظر: بصائر ذوى التمييز فى لطائف الكتاب

العزیز ، للفيروزآبادي- ( ١ / ١٣٣١ )



## (٣٠) أشجعُ الناسِ..!

ليست الشجاعةُ في قهرِ الناسِ، ولا فتلِ العضلاتِ، ولا الصخبِ  
الشديدِ، ولكنها في ضبطِ النفسِ، وحفظِ السلوكِ، وتعظيمِ شرعِ  
اللهِ، بردعِ الهوى، ونبذِ الجفا، ..!

يقولُ الإمامُ سفيانُ الثوري رحمة الله: (أَشَجَعُ النَّاسِ أَشَدُّهُمْ مِنْ  
الْهَوَى امْتِنَاعًا) (١).

وفي القرآن (فلا تتبعِ الهوى فيضلكَ عن سبيلِ الله) سورة  
ص (٢٦).

فكم من ضلالٍ يورثه الهوى، وكم من شهوة يزينها الهوى، وكم  
من معصية يغرّنا بها هوانا وانخداعنا..!؟

(١) الآداب الشرعية والمنح المرعية، لابن مفلح المقدسي، (٣ / ١١٩)

فاضبطْ هواك بالهدى ، وزنه بشرع الله ، واقهر شيطانك بحسن  
التدين ، والثبات على الطريق المستقيم ، واستبدل جلاسك  
بجلاس خير ومعونة ، وأصحاب دين ومروءة ، يزرعونك إذا  
زللت ، وينبهونك إذا ضللت ، وينصحونه إذا انحرفت ، لأن من  
طرائق الهوى صديق السوء ، وضعف التدين ، وقلة المواظبة ،  
وهجران الذكر والعلم ، والاستسلام للشيطان ونوابه .  
فتشجع في الحياة ، وارجم الشيطان بذكر وتلاوة ، ودعاء وإنابة ،  
ولا تخضع لشهوات حينية ، أو ملاءم زائلة ، حفظنا الله وإياكم  
وثبتنا على الصراط المستقيم .

## (٣١) عرف حقيقة نفسه..!

- مدائحُ الناس للفضلاء وغيرهم لا تنتهي ، ويوجد مجاملات اجتماعية ، يحبها الفارهُون ، ويضيقُ منها الصالحون ، لأنهم أدري بنفوسهم ، وأعرفُ بأعمالهم واستقامتهم ، ومن هؤلاء الصديق الأعظم رضي الله عنه ،
- وكان يقول لمن يمدحه : ( اللهم اجعلني خيراً مما يظنون ، واغفر لي ما لا يعلمون ، ولا تؤاخذني بما يقولون ، فإنك تعلمُ وهم لا يعلمون )<sup>(١)</sup>.

(١) أسد الغابة في معرفة الصحابة ، لابن الأثير ٣ / ٣٣٢

- وهي منهجٌ في هضم النفس ومعرفة قدرها، وعدم الاغترار بالمدائح والثناءات ، فإنها كلُّها لن تجدي مع الاغترار بها، ونسيان غوائل الداخل، ومكنونات الباطن .
- لأنَّ المرءَ أدري بحاله، وأعرفُ بذنبه، وأوعى بإخلاصه ، والناسُ يمشون بالظاهر ولم يطلعوا على السرائر...!
- ولذلك لا تغتر بمديح أو ثناء ، ولا تزكية وتوقير، فكلها من نقصان بشري، وعمايةٍ ظاهرية ، لم يتحققوا منها صدقاً وقلباً ، فاللهُ ينظر إلى القلوب ، وهؤلاء ينظرون إلى الظاهر والأشكال....!
- والمبالغةُ في تلکم المدائح ليس بحسن، وقد يضر صاحبه والممدوح ، ولذلك لما سمعها صلى الله عليه وسلم قال :

(أَهْلَكْتُمْ - أَوْ قَطَعْتُمْ - ظَهَرَ الرَّجُلِ) <sup>(١)</sup>، ولذلك قال

العلماء: حاصلُ النهي: أن من أفرط في مدح آخر، بما ليس

فيه لم يأمن على الممدوح العجب؛ لظنه أنه بتلك المنزلة،

فربما ضيَّع العمل والازدياد من الخير، اتكالا على ما وصف

به، .. والله الموفق .

(١) أخرجه البخاري عن أبي موسى رضي الله عنه ، برقم (٢٥٢٠).

## (٣٢) من فقه التحرز..!

- كثيرٌ منا يخلطُ بين الصغائر والكبائر ، ولا يُحسنُ معرفةَ درجاتِ المحرم والواجبات ، ويقدمون سنناً على فرائض مؤكدات ، ولهؤلاء نقول : تفقهوا في دينكم ، وراجعوا علماءكم ، واثنوا ركبكم عند الدروس والمحاضرات ، فطلبُ العلم فريضة ، وفقههُ حكمة ، وإتقانه رفعة ، وتطبيقه ديانة ..! وفيهم يقول العلامةُ الحاذق أبو الفرج ابن الجوزي رحمه الله صاحب التصنيفات الذائعة : ( رأيتُ كثيراً من الناس يتحرزون من رُشاش نجاسة ، ولا يتحاشون من غيبة ،

ويكثرون من الصدقة ، ولا يبالون بمعاملات  
الربا ، ويتعبدون بالليل ، ويؤخرون الفريضة عن الوقت (١).  
● فكيف لا يفرقُ بين رشاش نجاسة وجَسامة الغيبة..؟! ومن  
الذي يمارس الصدقات ، ولا يتربح محرمات الربا والبيوع  
وثالث يتعبد الليل تلاوةً وبكاءً ويفوتون الفريضة  
المحرمة..!!

● ليس هذا بحكمةٍ ولا عدل، ولو فقهوا العلمَ الشرعي ، لميزوا  
وأدركوا أنهم على خطأٍ جسيم ، وفي مرتعٍ وخيم!  
● لأن السنة لا تُقارَن بواجب ، والمكروه دونَ المحرم،  
والصغيرة لا تناهز الكبيرة ، وفي كلِّ تبينٍ وتفصيل..!

(١) صيد الخاطر ، لابن الجوزي ( ١ / ١٦٧ )

وهذه موعظةٌ في العلم والتفقه ، وأن العلمَ درجاتٌ وأسس ، ولا  
يخادع الله بسلوكٍ زائفٍ، في ظل ارتكاب موبقات وخطايا ، عافانا  
الله وإياكم من ذلك .



## (٣٣) كمالُ الآخرةِ وحسنها..!

- الآخرةُ المنتظرةُ، ولو بُعدت فهي دار القرار، ومنتهى المسار والمغانم والثمرات، والدينا وإنْ خطفت ، فهي دارُ الزوالِ ، ومنتهى الشقاء والتباب ، قال تعالى : ( وللآخرةِ خيرٌ لك من الأولى ) سورة الضحى (٤).
- وقال العلامةُ ابن القيم رحمه الله : ( مَنْ لَاحَ لَهُ كَمَالُ الآخرةِ ، هَانَ عَلَيْهِ فِرَاقُ الدنْيَا )<sup>(١)</sup>.
- وكمالُ الآخرةِ يكمنُ في خلودٍ مقيمٍ ، ومقيمٍ خصيبٍ ، وحياةٍ دائمةٍ ، وسعادةٍ غامرةٍ ، وسرورٍ هانئٍ ، وملذاتٍ عوامرٍ ،

(١) بدائع الفوائد، (٣ / ٧٣٢)

ليست بمقطوعة ولا ممنوعة ..! ( وفيها ما تشتهيهِ الأنفس  
وتلذُّ الأعين ) سورة الزخرف (٧١) .

● فإذا رسخت معك هذه المعتقدات ، وتعلمت من مواعظِ  
القرآن ، وهدى السنن والأسلاف ، هانت عليك الدنيا  
وفراقها ، ولم تبالِ بقصورها وأموالها ، ولم تُفتن بزخارفها  
وولاياتها .. ( وما الحياةُ الدنيا إلا لعبٌ ولهو ) سورة  
الأنعام (٣٢) .

● وباتت لحظةُ الاشتياق الأخروي عندك قويةً حثيثةً ، ولم  
تخف من مالٍ يُفارق ، أو بيتٍ يُغادر ، أو متعةٍ تُباين ، والله  
الموفق .

## (٣٤) الداءُ والدواء..!

من وعى القرآن والشريعة ، استخرج منها أطيّب العلم وأحسنه ،  
ومن جهلها فاته خيرٌ كثير ، وعُدّ في عداد العامة، يقرؤون بلا  
انتفاع ، ويطالعون بلا دراية . ومن ذلك أن كتابَ الله تعالى فيه  
حلولٌ كل مصيبة، ومنافذ كل ضيقة ، وثمرات كل فضيلة ، قال  
تعالى : ( إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي الْتِي هِيَ أَقْوَم ) سورة الإسراء (٩)

وفي كوكبِ التوبة والاستغفار ، وحاجة المرء لها ، يقول  
المفسر قتادة رحمه الله : (القرآنُ يَدُلُّكُمْ عَلَى دَائِكُمْ وَدَوَائِكُمْ ،  
أما دأؤُكم فالذنوب ، وأما دواؤُكم فالاستغفار) (١).

(١) شعب الإيمان ، (٥ / ٤٢٧)

وهو يشير إلى قوله تعالى : ( وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم ،

وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون ) سورة الأنفال (٣٣).

فكيف بمن وعى ذلك ولا يقبل عليه ، أو يسمعها ولا يهتبلها

؟! استغفروا ربكم، وعظموا ذكره، والهجوا بالتوبة إليه ، كان

نبينا صلى الله عليه وسلم ديدنه الاستغفار اليومي إلى مائة مرة

وروى ابن عمر رضي الله عنه ( إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ

عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْمَجْلِسِ الْوَاحِدِ مِائَةَ مَرَّةٍ : " رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ

عَلَيَّ ، إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ) (١).

وحُفظ عنه سيد الاستغفار المشهور ( اللهم أنت خلقتني وأنا

عبدك... )، ولهجت به الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، قال آدم

(١) رواه أحمد في مسنده برقم (٤٧٢٦) (٢ / ٢١)

عليه السلام، { } { قَالَ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا  
لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ } { سورة الأعراف (٢٣) . ونوح عليه  
السلام: ( وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ) سورة  
هود (٤٧) .

ويقول موسى عليه السلام: { } { رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِإِخِي وَأَدْخِلْنَا  
فِي رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ } { [الأعراف: ١٥١] . ولم  
تزل دعواتُ الأنبياء كذلك ، وفقنا الله وإياكم لذكره وحسن  
عبادته ، إنه جواد كريم .

## (٣٥) خطورة أعراض الناس !..

يغرُّكَ حُسْنُ منظره ، صلاةً وخشوعاً ومسارةً في الخيرات ،  
ولكنه في غمة أخرى !..

ويتفاخر بعضهم بحُسنِ صلاته وكثرة نوافله المتنوعة ،  
فختمات متوالية، وصيامٌ محفوظ ، وصدقاتٌ معهودة، ولكنه  
وللأسف الشديد ، قد لا يتنزه في لسانه ، ويُطلق له العنان في  
النقد وتتبع أعراض الناس، والله المستعان ، وفي هذا يقول  
الخليفة الصالح

عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله: ( أدركنا السلفَ وهم لا يرون  
العبادة في الصوم ، ولا في الصلاة ، ولكن في الكف عن أعراض  
الناس )<sup>(١)</sup>.

(١) إحياء علوم الدين، (٣ / ١٤٣)

إذن جوهرُ العبادة وعمقها في حفظ اللسان عن الأعراض ،  
وصون المنطق عن العثرات الاجتماعية ..! وإلا فما تغني عنا  
عبادة لم تنهنا عن المنكر ، أو تورثنا الخشية ومراقبة الواحدِ  
الأحد ...!

ولذلك جاء في المسند بسند حسن عن أبي هريرة قال : قَالَ :  
رَجُلٌ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ فُلَانَةَ يُذَكِّرُ مِنْ كَثْرَةِ صَلَاتِهَا، وَصِيَامِهَا،  
وَصَدَقَتِهَا، غَيْرَ أَنَّهَا تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ : " هِيَ فِي النَّارِ  
". قَالَ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَإِنَّ فُلَانَةَ يُذَكِّرُ مِنْ قَلَّةِ صِيَامِهَا،  
وَصَدَقَتِهَا، وَصَلَاتِهَا، وَإِنَّهَا تَصَدَّقُ بِالْأَثْوَارِ مِنَ الْأَقِطِ، وَلَا  
تُؤْذِي جِيرَانَهَا بِلِسَانِهَا، قَالَ : " هِيَ فِي الْجَنَّةِ " <sup>(١)</sup>.

(١) رواه الإمام في مسنده برقم (٩٦٧٣) (٢ / ٤٤٠)

وهو متفق مع هذه العبارة النورانية ، بل هو أصلٌ لها ومعتمد ،  
لأن حق العبادة وثمراتها ، أن تردع الألسنة ، وتصون الملافظ ،  
وتضبط السلوك ، وينعكس خيرها على أصحابها ، والله  
الموفق .



## (٣٦) قد كُفِيتُم ..!

• تعجبُ منه .. يفعلُ أموراً ليست ثابتة، ويستنُّ سنناً غير محفوظة، ويتدينُ بسلوكيات غير معروفة..! وكأنه تناسى أنت مكفيٌّ في الإسلام ، معافى في الشريعة ( اليوم أكملتُ لكم دينكم )

• فلو اعتقدَ بتمام الدين وحسنه وكمالهِ، لما زاد عليه شرعا ، ولا استحب عملا ...! يقول عبدُالله بن مسعود رضي الله عنه : ( اتَّبِعُوا وَلَا تَبْتَدِعُوا ، فقد كُفِيتُم ) .<sup>(٣)</sup> فواجبنا الاتباع ، و عملنا الانتهاج ، وسيرنا التطبيق ، وغايتنا الموافقة ، لأننا كُفينا التشريع ، وكفينا العبادات ، وكفينا الافتئات ، قال

تعالى: ( قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله ويغفر

لكم ذنوبكم ) سورة آل عمران ( ٣١ ) .

● والابتداع تجديدٌ وزيادة ، وتحريفٌ ومخالفة ، وتقدمٌ

ومناكفة ، لا تستقيمُ وسلوكُ المسلم وزعمه اتباع السنة ،

(لقد كان لكم في رسول الله أسوةً حسنة) سورة

الأحزاب( ٢١ ) .

● وتستغربُ من مبتدعة ما فعلوا السنن ، واخطوا طرقاً جديدة ،

وابتدعوا مخالفات خاطئة ..! ومنهم من لم يقرأ الصحيحين

والرياض والمشكاة<sup>(١)</sup> .

وتجده على اطلاع واسع بكتب الخرافات والضلالات، المجانبة

للسنة الصحيحة .. وهذا أمر في غاية العجب ..!

فاتبع دين الله تعالى بلا زيادة ولا مخالفة ، وانتهج السنن بلا

مغالاة وتحريف ، واسلك الطريق بلا تمطيط أو تخليط...!

## (٣٧) المؤمنُ الكيسُ...!

- جَمَلَك اللهُ بِعَقْلِ ، وَأَتَاكَ فِكْرًا وَفَهْمًا ، فَاجْعَلْ مِنْ ذَلِكَ طَرِيقًا إِلَى اللَّهِ ، وَافْقَهْ دِينَكَ ، وَاعْرِفْ مَا يَنْفَعُكَ وَمَا يَضُرُّكَ..! فِي الطَّاعَاتِ عِلَامَاتُ الْخَيْرِ وَالسَّرُورِ ، وَفِي الْمَعَاصِي أَمَارَاتُ السُّوءِ وَالشَّرُورِ..!
- قَالَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ : ( أَكَيْسُ الْكَيْسِ التَّقْوَى ، وَأَحْمَقُ الْحَمَقِ الْفَجُورِ ، وَأَصْدَقُ الصِّدْقِ الْأَمَانَةُ ، وَأَكْذَبُ الْكُذْبِ الْخِيَانَةُ )<sup>(١)</sup>.
- وَالْمَرَادُ أَعْقَلَ الْعُقَلَاءِ مِنَ التَّزَمِ التَّقْوَى ، وَجَانِبَ الْهَوَى وَالنَّجْوَى ، لِأَنَّ الْكَيْسَ وَهُوَ الْعَقْلُ يَرْشِدُكَ إِلَى اللَّهِ ، وَيَجْنِبُكَ مِصَارِعَ الْمُنْحَرِفِينَ ، وَيَكْشِفُ لَكَ فَضْلَ التَّقْوَى وَسَعَتَهَا وَانْشَرَا حَهَا .

(١) سنن البيهقي الكبرى، (٦ / ٣٥٣)

- وأغلظُ الحمقُ وأشدّه، امتطاء الفجور، لأنه محض الضلال ،  
ويعرّفه سوء طريقه، ومع ذلك ينصاع للشيطان ، ويدرك وبألّ  
عاقبتها ، ويحس بشؤمها وللأسف يزيدُ في الاغترار بها...!
- وفي الأمانة دليلُ الصدق والوضوح ، وهو جليٌّ في فقهها،  
وهو يهجر الخيانة ويذمها، لأنها مبنية على الكذب والتزييف  
، وتبديل الحقائق..!

- والمرءُ الكيسُ يدرك ذلك ويعاينه ، وقد وضع الله فيه أسباب  
المعرفة والتمييز ..! ولكنه لغفلة فيه أو تفريط، قد يقلبُ  
ذلك ويدفعه ، ويطيع هواه ، فيخسر خسراناً مبيناً ، ولذلك  
من كلام المقار في جهنم : ( وقالوا لو كنا نسمعُ أو نعقلُ ما  
كنا في أصحاب السعير ) سورة الملك ( ١٠ ) .

والله الموفق .

## (٣٨) محاسبة النفس..!

• لو أننا فقهنا مدرسة المحاسبة الذاتية لتغيرت أحوالنا ،  
ولكننا نُرخي العنان لهذه النفس ، فتخوض بنا الغمرات ،  
وتذهبُ يميناً ويسرة، دون سؤالٍ أو معاتبة..!

• يقول العابد مالكُ بن دينار - رحمه الله - : ( رحم الله عبداً  
قال لنفسه : ألسِتِ صاحبةَ كذا ؟ ألسِتِ صاحبةَ كذا ؟ ثم  
ذمها ، ثم خطمها ، ثم ألزمها كتاب الله تعالى ، فكان لها  
قائداً )<sup>(١)</sup> .

• مهما بلغت بنا الغفلة والتغافل ، فلا نغفل المحاسبة ودورها ،  
في ضبط السلوك والتصرفات... واختلِ بها قليلاً ووبخها

(١) محاسبة النفس ، لابن أبي الدنيا ( ١ / ٣٤ )

جاء ما صنعت وأسرفت، واخطمها بالعتاب اللاذع،  
والندامة القاسية، ثم زكّها بالذكر والعلم، وقُدّها بتوجيهات  
القرآن والسنة، فهو لها خيرُ قياد، وأنفسٌ دواءٍ وشفاء .

● فالورد القرآني المستديم، والعكوف على الاستغفار،  
وتعليمها العلم، ومجالس الصلحاء مما يكفها، ويمنحها  
الدرع الواقى كيلا تعود، فتتعب صاحبها، لا سيما مع معاودة  
الذنب والغفلات، قال تعالى: (قد افلح من زكّاها) سورة  
الشمس (٩). وتلك كلها وسائل للتزكية .

● وقال سبحانه: (وننزل من القرآن ما هو شفاءٌ ورحمة  
للمؤمنين) سورة الإسراء (٨٢). ولن تجد النفس المريضة  
أطيبَ من شفاء القرآن، وفقنا الله وإياكم لكل خير وهداية .

## (٣٩) كرامة العباد...!

• يا من تبحثُ عن الكرامة ، دونك الصراطُ المستقيم ، ومنهاجَ الصالحين ، وطريقَ المتقين ، في طاعة الله ، والخضوع لشريعته ، والتقرب في مرضاته . صلاةٌ وصيام ، وذكرٌ وإنابة ، وقرآنٌ وتزكية ، قال تعالى : ( قد أفلح من زكاها ، وقد خاب من دساها ) سورة الشمس .

• وقال الإمامُ سعيد بن المسيّبِ رحمه الله : ( ما أكرمتِ العبادُ أنفسَها بمثلِ طاعة الله عز وجل ، ولا أهانتِ أنفسَها بمثلِ معصية الله ، وكفى بالمؤمن نصرَةً من الله أن يرى عدوّه يعملُ بمعصية الله ) (١) .

(١) حلية الأولياء ( ٢ / ١٦٤ )



- فالطاعةُ كرامةُ الله لعباده، صانهم من الخضوع لغيره،  
وقلّدهم الشرف، وأورثهم السعادة، وبلّغهم الأمان،  
وحفظهم من الشرور، وكتبَ لهم الحبَّ والقبول...!
- ويكفيهم نصرةً أنهم في خيرٍ ومرضاة، وعدوهم في معصيةٍ  
ومجافاة، وفي ذلك انتصار لهم، وهزيمةٌ لعدوهم .
- فدُم على هذه الكرامة ، ولا تخرقها بعسفٍ أو ضلالة ،  
وتخلف وملاية، فالعز كلُّ العز في ذكرٍ وطاعة ، وفي إقبالٍ  
ومتابعة ( إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون ) سورة  
النحل (١٢٨).

## (٤٠) من أسباب ترك العمل..!

- من صورِ شقاءِ بعضِ الناسِ انهماكُهُ في مجادلات علمية أو فكرية أو اجتماعية ، مع قلةٍ في العمل ، وتوسعٍ في اللسان ، ومن المؤسفِ اتساع هذه البلية ، وتفاقم هذه المصيبة مع مرور الأيام ، وصرنا نشاهد المتكلمين ، ونقصان العاملين..!

- يقولُ الإمامُ الأوزاعي رحمه الله : (إذا أراد اللهُ بقومِ شرًّا ، ألزمهم الجدل ، ومنعهم العمل )<sup>(١)</sup>.

- لأن كثرةَ الجدل تنقُصُ الأعمال ، وتضعفُ الاهتمام ، وتقتل الإرادة ، وتوهنُ الفضائل ، ويبيتُ همُّه الرد والنقض ،

(١) شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة ، لهبة

الله بن الحسن بن منصور اللالكائي ( ١ / ١٤٥ )

والجواب والنقد، فيتأثر قلبه، وتضطرب استقامته ، فلا يبقى  
للعمل عنده همة وإقبال ، والله المستعان .

● وقد قال صلى الله عليه وسلم : ( مَا ضَلَّ قَوْمٌ بَعْدَ هُدَى كَانُوا

عَلَيْهِ إِلَّا أُوْتُوا الْجَدَلَ ) ثُمَّ تَلَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

هَذِهِ الْآيَةَ : " { مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ

خَصِمُونَ } " . قال الترمذي : هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ <sup>(١)</sup> .

● فحاذر الجدل إلا بالتي هي أحسن، فإذا طال اعتزل وتباعد،

وصنْ دينك ولسانك ، وفقنا الله وإياكم لكل خير وفضل .

(١) سنن الترمذي، (٥ / ٣٧٨)

## (٤١) إخوانُ الصدق...!

• في الحياة أعوانٌ عليها ، وسندٌ في شدائدِها ، ومعامدٌ يُتكأ عليها ، وهم أصدقاء مدخرون ، وإخوةٌ متعاضدون ، وأنصارٌ في البلايا والأرزاء ، يقول الخليفةُ المُفهمُّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه : ( عليك بإخوان الصدق ، فعش في أكنافهم فإنهم زينةٌ في الرخاء ، وعدةٌ في البلاء )<sup>(١)</sup>.

• ولماذا إخوانُ الصدق ، .. لأن الحياة لا تحلو إلا بهم ، ولا تزينُ إلا بوقفاتهم ، ولا تطيبُ إلا بعونهم ومؤازرتهم .

• فهم أنسٌ في الرخاء ، وزينةٌ في السعادة ، ورفدٌ في الشدة ، وعدةٌ في البلية والرزية ، يفرحون لفرحك ، ويعيشون مصابك ،

(١) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المرید إلى مقام التوحيد ، لمحمد بن علي بن عطية الحارثي المشهور بأبي طالب المكي ، ( ٢ / ٣٦٣ )

ويؤازرون في الملمة ، ويأبُونَ الخذلانَ والتراخي .! فهؤلاء  
من تحرصُ عليهم وتشتري ودَّهم، وتبحثُ عن صداقتهم ،  
فهم إخوةٌ لم تلدهم أمك، وأشقاء بلا نسب، وأعوان بلا  
تكلف ..!

- والسببُ يعود إلى صدقهم في المحبة، وإخلاصهم في المودة،  
وحسنِ تمسكهم في مبادئهم ، بحيث لا يحبون إلا الله ، ولا  
يوادون إلا في مرضاته ، وذلك من أقوى عُرى الإيمان، وفقنا  
الله وإياكم لأحسن الأخلاق والأقوال ، إنه جواد كريم .

## (٤٢) غوالبُ العلم والعقل ..!

العلمُ من أقوى الأسلحة في هذه الحياة ، تصدُّ به الجهل ، وتدفع  
الخرافة ، وتتنصَّرُ به على الباطل ..! ولكن أحياناً إذا طمى  
الهوى ، واشتعلت والشهوات ، غلبت العلم ، وبات المرءُ يفكر  
بعاطفته وليس بالعقل الذي يعي ، أو العلم الذي يهدي ، لقلة  
العلم حينها أو هوان صاحبه ..! ولذلك يقول عطاء السليمي  
رحمه الله: ( بلغنا أن الشهوة والهوى ، يغلبان العلم والعقل  
والبيان) <sup>(١)</sup>.

فيغلبان بما فيهما من عاطفة نفاثة، وجاذبية خطافة، وليس عن  
برهان صادق، أو حجة قاطعة، لا سيما والمحيط يحرض،

(١) حلية الأولياء ٦ / ٢٢٤

والأعوان حاضرون، والسُّعاة داعمون، ورفقاء السوء عل  
جنبات الطريق .

ولذلك وجبَ الإِعراضُ عنهما، وتعميق العلم الشرعي،  
والاستعصام بهدَايات القرآن، وقبسات السنن، وقصص  
الصلحاء، ومجالسة أهل العلم .

وإذا تمَّت هذه الحصونُ المنيعة، وُقِيَ العبدُ وحفظه ربه تعالى،  
وصانه من كل بلاء وزلل .

ومن المستحسنِ الجميل، الإِلحاحُ في الدعاء، والضراعةُ بين  
يدي الخالق عز وجل، ويدعو بما علمه الشاب التائب، في  
المسند ( اللهم اغفر ذنبه، وحصّن فرجه، وطهر قلبه ) (١).

حفظنا الله جميعا، وثبتنا على صراطه المستقيم .

(١) المسند ٦ / ٢٢٢٦٥

## (٤٣) المحاسبة الهينة..!

من حاسبَ نفسه في الدنيا تهيأً للآخرة ، وخفَّ عليه الخطب ،  
وتأهب لغده ، وتطهر من شوائب وبليات ، وذلك طبعُ العقلاء  
الأكياس ،

يقولُ عمر بن الخطاب رضى الله عنه : (حاسبوا أنفسكم قبل أن  
تحاسبوا، وزنوا أنفسكم قبل أن توزنوا؛ فإنَّ أهونَ عليكم في  
الحساب غداً ، أن تحاسبوا أنفسكم، وتزيّنوا للعرض الأكبر،  
يوم تعرضون لا تخفى منكم خافية!) (١).

وفي ذلك ترقبٌ للمحاسبة الخطيرة في القيامة، وأنها أهون الآن  
وأحكم ، استعداداً لحساب يوم عسير، تشتد فيه الأهوال،  
وتعظمُ فيه البليات ( وكان يوماً على الكافرين عسيرا ) سورة

(١) الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار ، لابن أبي شيبة (٧ / ٩٦).



الفرقان (٢١) . وقال سبحانه: ( يومًا يجعلنا الولدان شيبا )  
سورة المزمل (١٧) .

وفي المحاسبة عتابٌ وندامة، واستعدادٌ وعمل، وتوبةٌ وتعقل،  
ومراجعة وأوبة، وتجديد للروح، وتغيير المسار . ومحاسبة  
الدنيا مستورة خفية بين العبد وربّه ، وأما في الآخرة فانكشف  
وشهود، وحضور وعلائية، والله المستعان. ( لا تخفى منكم  
خافية ) سورة الحاقة (١٨) .

أي لا من أجسامكم وأجسادكم ولا من أعمالكم وصفاتكم،  
فإن الله تعالى عالم الغيب والشهادة. ويحشر العباد حفاة عراة  
غرلا، في أرض مستوية، يسمعهم الداعي، وينفذهم البصر،  
فحينئذ يجازيهم بما عملوا، ولهذا ذكر كيفية الجزاء - بعد ذلك  
، أحسن الله ختامنا ، وعافانا من مصارع الظالمين ..

## (٤٤) العلاقة بالقرآن..!

أهل القرآن ، هم أهل العزة والشرف، وأرباب السعادة  
والانسراح ، فهم أحبابه ولُصقائه به، ومتفانون في تلاوته وتدبره  
، ولا تطيبُ قلوبهم دون اطلاع، ولا ترتاحُ نفوسهم دون تلاوته  
كل يوم ، وكل ساعة ، قال تعالى : ( وكذلك أوحينا إليك روحًا  
من أمرنا) سورة الشورى (٥٢) .

يقول الخليفةُ عثمان بن عفان رضى الله عنه : ( ما أحبُّ أن يأتي  
عليَّ يومٌ وليلةٌ إلاَّ أنظر في كلام الله عز وجل )<sup>(١)</sup> .

والسببُ لأنه لا يسلو بسواه ، ولا يستمتع بغيره ، ففيه السعدُ  
والانسراح ، وفيه العزةُ والفخر ، وفيه الراحةُ والمعافة .

(١) فضائل عثمان بن عفان ، لعبد الله بن أحمد بن حنبل ( ١ / ١١٦ )

ويعدون حياتهم منقوصةً بلا قرآن ، وتعيسةً بلا ذكر ، وتالفةً بلا  
موعظة... ( قد جاءتكم موعظة من ربكم ) سورة يونس ( ٥٧ )  
فكأن قلوبهم كالسّمك لا يحيا بغير ماء ، وكذلك هم قد امتزج  
حب القرآن بقلوبهم ، وتركه يعني ضياعهم وهلاكهم ، وانتزاع  
البركة منهم . وله أيضًا رضي الله عنه : ( لو طهرت قلوبنا ، ما  
شبت من كلام الله )<sup>(١)</sup> .

وفيه قال حسان رضي الله عنه لما استشهد : ضحوا بأشمطَ

عنوان السجود له... يقطعُ الليلَ تسبيحا وقرآنا<sup>(٢)</sup>!..!

اللهم قوّ صلّتنا بكتابك ، واجعلنا من أهل ذكرك وعبادتك .

(١) حلية الأولياء ( ٧ / ٢٧٢ )

(٢) البيان والتبيين ، ( ١ / ١٢٤ )

## (٤٥) التهلكة في الحياة ...!

إذا ابتلي أحدنا بالذنب فلا ييأس ، ولا يقنط ولا يستسلم لهواه  
أو للشيطان، فلا تزال منائر التوبة مفتوحة، ومنافذ الخير مشرعة  
، ومداخل الرحمات مبسوطة ، قال تعالى : (إنَّ الحِسانِ  
يُذهِبْنَ السيئات ) سورة هود(١١٤) .

قال أمينُ هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنه :  
(التَّهْلُكَةُ هي : أن يذنبَ العبدُ ذنبًا ، ثم لا يعملُ بعده خيرًا حتى  
يَهْلِكُ) <sup>(١)</sup> .

والمعنى يهلكُ نفسه بالقنوط أو بالكسل أو بالتسويف والتأجيل  
، ولا يزال يُعرض ويؤخر التوبة حتى يوافيه الأجل ، وتحضر  
ساعته...!

(١) إحياء علوم الدين ، ( ٢ / ٣١٩ )

وكم من خيرات حسان تعرض لبعض العصاة فيهجرونها،  
وابواب فضائل تناديهم فيكسلون عنها، ويطيعون أهواءهم...  
وربما كان فيها خلاصهم من ذلك الداء الوبيل..!

وفي الحديث قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ( بَيْنَمَا كَلْبٌ  
يُطِيفُ بِرَكِيَّةٍ - أَي بئر - كَادَ يَقْتُلُهُ الْعَطْشُ، إِذْ رَأَتْهُ بَغِيٌّ مِنْ بَغَايَا  
بَنِي إِسْرَائِيلَ، فَزَعَتْ مُوقَهَا - أَي خَفَّهَا - فَسَقَّتْهُ، فَغُرَّ لَهَا بِهِ )  
(<sup>١</sup>) .

وأين نحن عن ميادين الاستغفار، وغشيان مجالس الرحمة  
والعلم، واستماع الذكر، وزيارة الفضلاء، واستنصاح  
الأصدقاء الأوفياء..!؟

(١) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٣١٤٣) (٣ / ١٢٠٦)

فلا تنهزم في معركة الذنوب، وأمام ألد الأعداء الشيطان ، الذي  
يُعدُّ لكم العُدَّة، ويحشدُ لكم الفيالق والقوة . وكن ثابتًا عزيزًا  
بالله، راجيًا مغفرته ، وطالبًا غوثه ومعونته ( إياك نعبد وإياك  
نستعين ) سورة الفاتحة ( ٥ ) .

## (٤٦) عيبُ الناسِ ..!

تعجبُ من أناسٍ تفرغوا لِعِبادِ اللهِ نقدًا وِذمًا وتعييبًا ، لا تفتُرُ  
ألسنتُهُم عن النقدِ ، ولا منطقتُهُم عن التعقيبِ ، لا يُعجبُهُم  
العجبُ ولا الصيامُ في رجبٍ ، كلُّ موقفٍ عندهم محلُّ انتقادٍ  
وتعقيبٍ...!

وهذا من أقبحِ ما حمَله الإنسانُ واتصفَ بهِ ، واللهُ المستعانُ .  
قيلُ للعالمِ العابدِ الربيعِ بنِ خُثيمٍ رحمه اللهُ : ( ما نراكُ تعيبُ  
أحدًا ؟ )!

فقال : لستُ راضيًا عن نفسي ، حتى أتفرغَ لذمِّ الناسِ (١) .

(١) ربيع الأبرار ، للزمخشري ( ٢ / ١٥٠ )

وما الفائدة من ذمهم، وقد خلُقوا هكذا ، أو اتصفوا بما ليس لنا

دخل فيه...؟!

وهذا منهجٌ سديد، وحليةٌ نادرة ، لو تحلينا بها لسلمنا وطبنا،

وأرحنا واسترحنا .

لأن ذنوبنا تكبحُ جماح التهور والتطاول ، فهو بذلك يحفظُ

لسانه، ويدخرُ ثوابه ، ويشتغلُ بنفسه، ويقهرُ شيطانه، ويردُّ

جليسه ، ويتفرغُ لذكر ربه والكلم الطيب .

إن أولى ما اشتغلُ به اللسان ذكرُ الله وحبه وتمجيده ( لا يزال

لسانك رطبًا من ذكر الله ) ، فترطيبه بالذكر خير من تلطيخه

بالغيبة والمعائب ، وتتبع العثرات والمكائد ، والله المستعان .



وإذا تأملت ذلك القيدَ النفسي علمت أنه علاجٌ مبدأى ، وترياقٌ  
أولي ، يُشغلك بنفسك ، ويحمي الآخرين منك ، فتكفينا ذنوبنا ،  
وحسبنا سيئاتنا ، وإذا انتصرنا في معركة الداخل فنحن على خيرٍ  
كبير ، وفرحٍ مديد ، وفق الله الجميع لحسن العمل وجمال  
المنطق .

## (٤٧) تهمة المؤمن الذاكر !..

طعومة الحياة في ذكر الله تعالى وحبّه والشوق إليه ، ومهما  
فُتح على العبد فيها ، فلن يشبع من ذكرٍ رطيب، ولهجٍ  
خصيب، وعبادة لذيدة، وطاعات سعيدة ( يا أيها الناس أنتم  
الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد ) سورة فاطر (١٥).

ولذلك من روائع كلمات الإمام ابن القيم رحمه الله قوله : (   
يُخرجُ العارفُ من الدُّنيا ولم يقضِ وطره من شَيْئين : بكاؤه  
على نفسه، وثناؤه على ربّه )<sup>(١)</sup>. وإنما يبكي المؤمنُ خوفاً من  
ذنوبه، وشفقةً على معاصيه، وتألماً على غفلاته، وتقصيراً في  
حق خالقه، فلا يشبعُ من الذكر ولو طال، ولا يمل الطاعة ولو

(١) الفوائد لابن القيم ١ / ٣١.

زادت ، لأنها غناه الدائم ، وسعاده البالغة، ونهْمه الذي لا

يهجر، وسعده الذي لا يترك....!

نعمُ الله جارية ، وغفلته سائرة ، وآلاء الرب نازلة ، ومعاصينا

صاعدة والله المستعان .

ولذلك يعالجُ ذلك بالعظة والأسف ، ودوامِ الذكر والتهليل .

فروحه لا تستطيبُ العيش بغير الذكر، ولا تهناً بمثل العبادة

والمعاني الإيمانية .

ولذلك فهو في تهممٍ ويقظة ، واهتبال وعزمة ، يخاف ذنوبه،

ويُكثر اللهَج إلى ربه تعالى ( فاذكروني أذكركم واشكروا لي

ولا تكفرون ) سورة البقرة (١٥٢).

## (٤٨) المنافسة الحقيقية ..!

حينما تشاهدُ المنافسةَ على الصف الأول ، أو صيامَ الإثنين ، أو حضورَ الدروس ، تشعرُ بالافتخار الإيماني، والاعتزاز الديني . وهو ما يُحمد من المسالكِ ، وما يَطيّبُ من المناظر، وتحسُّ بأن الناس على وعيٍ وخير، وما سوى ذلك ضياع دنيوي، وتقاتل شهواني . قال تعالى : ( فاستبقوا الخيرات ) سورة البقرة (١٤٨).

يقول الإمامُ الحسن البصري رحمه الله : ( مَنْ نَافَسَكَ فِي دِينِكَ فَنَافِسْهُ ، وَمَنْ نَافَسَكَ فِي دُنْيَاكَ ، فَأَلْقِهَا فِي نَحْرِهِ )<sup>(١)</sup>.

(١) إحياء علوم الدين ، ( ٣ / ٢٠٧ )

وهذا هو السباق الحقيقي، والمنافسة العالية المرضية، تتنافسُ  
في صلاةٍ وذكر، وفي علمٍ وطاعة، وفي برٍ وصلة، وفي خيرٍ  
واستفادة، وليس في جمعٍ وادخار دنيوي، تقاتل الناسُ  
عليها..!

والسبب أنك مسؤولٌ عن آخرتك والإعداد لها، وهو اليوم  
الذي ينكشف فيه الفائزُ من الخاسر، والمجتهدُ من المفرط،  
والمؤمن من الفاسق، والمثابر من الكسول... فانظر أي  
الطريقين أنفع وأبقى لك..!؟

وحاذر الفتنة في التنافس، ولا تنخدع بزينة الحياة الدنيا، وألقها  
في نحور أصحابها، فالموت دان، والمجموع ممحوق....

فَالْمَوْتُ آتٍ وَالنُّفُوسُ نَفَائِسُ \* وَالْمُسْتَعِزُّ بِمَا لَدَيْهِ الْأَحْمَقُ

قال صلى الله عليه وسلم للأَنْصار يوماً : ( فَأَبَشِّرُوا وَأَمْلُوا مَا  
يَسُرُّكُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا الْفَقْرَ أَحْشَى عَلَيْكُمْ، وَلَكِنْ أَحْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ  
تُبْسِطَ عَلَيْكُمْ الدُّنْيَا كَمَا بُسِطَتْ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَتَنَافَسُوهَا  
كَمَا تَنَافَسُوهَا، وَتُهْلِكُكُمْ كَمَا أَهْلَكَتْهُمْ )<sup>(١)</sup>.

فنهاية التنافس الدنيوي التهلك وضياع الشؤون والاستقامة،  
وصيرورتنا أرقاء لها، بلا وعي ولا اتعاظ، والله المستعان .

ما أجلَّ أن ينعم الله عليك بليّن الكلمة ، وعضوبة الجملة ،  
ولطف اللفظة، فلا تقول تعنيفاً ، ولا تبثُّ فظاظة، ولا تسوقُ  
خشونة، ..

(١) (٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٢٩٨٨) (٣ / ١١٥٢) (٤٩) البخاري ..!

وذلك هدي القرآن العظيم ، ومنهاج ديننا المستقيم ( وقل

لعبادي يقولوا التي هي أحسن) سورة الإسراء (٥٣).

ومما يُروى عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضى الله عنه

: ( من لانت كلمته، وجبت محبته )<sup>(١)</sup>.

وذلك اللين من حُسن الخلق ، وطيب المكارم، ولطافة الجانب

، وسمو النفس ، وتوقير الخلائق ، وإغاظة الشيطان، وردع

الحساد .

وهذا الأسلوب مفتاح القلوب، وسرُّ القبول ، ونافذة التأثير،

وبوابة الاحتواء، وطريق الاستلاب، وجوهر التوهج والانتشار

فلن يحبَّ الناسُ إلا ذوي الكلمة الطيبة، والخلق الكريم،  
والسلوك الرطيب، والابتسامة الصادقة، والمعاملة الحانية ،  
فعرش عليها، واستدم مسلكها، وتباعد عن السدة والشتام  
والغلظة ، قال تعالى: ( فيما رحمةٍ من الله لنت لهم ولو كنت  
فظاً غليظ القلب لانفضوا من حولك ) سورة آل عمران  
(١٥٩).

ولا سيما الدعاة ، فهم دُعاةٌ رحماء ، وشيوخٌ رفقاء ، ليس في  
قاموسهم الدعوي خشونة أو عنف ، ولا شدة ومشكلات ، بل  
يصبرون ويتلطفون ، ويعفون ويتجاوزون، حتى لو اعتدي  
عليهم .. ( وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً ) سورة  
الفرقان (٦٣) .



## (٥٠) فقه الدنيا...!

الدنيا دارٌ مخيفةٌ في الجملة ، غلبَ شرُّها على خيرها ، واشتدَّ التحذيرُ منها، ولكنَّ العقلاء قد يتوقونها لأسباب ، ويفقهون طريقَ التعامل معها ..!

سُئل أبو صفوان الرعيني رحمه الله : " ما هي الدنيا التي ذمها الله في القرآن ، والتي ينبغي للعاقل أن يتجنبها؟ ، فقال: " كل ما أصبت في الدنيا تريد به الدنيا فهو مذموم، وكل ما أصبت منها تريد به الآخرة فليس منها " (١) (٢) والفقه لها .. اجعل منها طريقا إلى الآخرة ، ومادةً إلى الطاعة ، وعنواناً إلى الثواب ،

(١) جامع العلوم والحكم (١ / ٢٩٥)

ونافذةً للحسنات ، وساعةً في محبة الله ، ولحظات في نشر

الدعوة ، وحيناً في محاسبة النفس..!

فتلك الدنيا المحبوبة عند الخيار ، فهي قنطرة الآخرة لمن وفق

فيها، واتقأها بفقها وحذر، وتفنن في سياستها وترويضها ،

ولذلك قال يحيى بن معاذ رحمه الله : " كيف لا أحب دنيا ،

قُدر لى فيها قوت أكتسب به حياة، أدرك به طاعة، أنال بها

الجنة"<sup>(١)</sup>.

وقال الحسن البصري رحمه الله : " نعمت الدار الدنيا كانت

للمؤمن، وذلك أنه عمل قليلاً وأخذ زاده منها للجنة، وبئست

(١) طبقات الأولياء ، لابن الملتن سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري ( ١ / ٣٢٥ )

الدار كانت للكافر والمنافق، وذلك أنه ضيع لياليه وكان زاده

منها إلى النار"<sup>(١)</sup>.

فمن اغتمها وبادرها في طاعة الله كانت عليه نورا وبركة

وسرورا، ومن جعلها ظرفاً للموبقات أوبقت دنياه واخرته،

وبات شقيا بئيساً ، والله المستعان .

(١) جامع العلوم والحكم ( ١ / ٢٩٥ )

## (٥١) الشغلُ بطاعة الله...!

لن يفلحَ مشتغلٌ بالدنيا، ولن يفوزَ جماعُ لها ولمحاسنها ، إذا  
ضيعَ حقَّ الله ، وغاصَّ في دنياه غيرَ مكترثٍ بدينه وحقوق ربه  
تعالى ، ولذلك خاف الأوائلُ هذا التوجه ، وقد أدركوا قبَحَه في  
حياتهم ومعاملاتهم ، يقول أبو سليمان الداراني رحمه الله : (   
كلُّ ما أشغلكَ عن الله ، فهو عليك مشؤوم )<sup>(١)</sup>. لأن الشغلَ بغير  
الله يعني الضياع والهلكة ، والانهماك في الدنيا، وتعطيلَ  
الفرائض ، وهجرانَ السنن ، والتجاسرَ على الملهيات  
والمغريات ..! ولا يأمن العبدُ بعد ذلك ، أن يصرعه الله وهو لا  
يشعر ، أو تأتيه منيته بغتة ، وهو ساه لاه..!

(١) قصر الأمل ، لابن أبي الدنيا ( ١ / ٧٨ )

ولذلك كان الاشتعالُ بالله وطاعته محضَ التعظيم، وجوهرَ  
التقوى وعنوانَ المحبة، وطريقَ الذين يعلمون ويعقلون .  
فكن مع الله في مُرتقى منيف، وفي مكانٍ متين ، تعظّمه غايةً  
التعظيم ، وتحرص على ذكره وشكره، وتستحضر خشيته على  
الدوام ( إن الذين يخشون ربهم بالغيب لهم مغفرةٌ واجر كبير )  
سورة الملك ( ١٢ ) . وقال سبحانه : ( مالكم لا ترجون الله وقارا  
وقد خلقكم أطوارًا ) سورة نوح ( ١٤ / ١٣ ) . ومن توطن في قلبه  
هذا المعنى فقد عظم الله، وسارع في مرضاته ، وقدم طاعته على  
كل المشاغل ، والله الموفق .

## (٥٢) السعادة الأبدية...!

كُلُّ الخلائقِ يطلبونَ حداثقَ السعادة، ويلهثون وراءَ أسبابها ،  
ويبذلون لها الغالي والنفيس ، لأنَّ الحزنَ مُتعب ، والكدر  
مضنِّ ، والتعاسة شقاوة مؤذية ، ولذلك عرفها أهلُ الإيمان في  
طاعةِ الله وفي الخضوع بين يديه ، والانطراح بين مرضيه ، يقول  
شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله : ( من أرادَ السعادةَ الأبدية ،  
فليلزم عتبةَ العبودية )<sup>(١)</sup>.

والسعادةُ الأبدية في معرفة سر الخلق والوجود ، ولزوم الصراط  
المستقيم ، والاستعداد ليوم البعث والمعاد، والحذر من  
المخالفة والصدود، واهتبال الخيرات ، وعمارة الدنيا لأجل

(١) المدارج ( ١ / ٤٣١ )

الآخرة ، واستدامة ذكر الله على كل حال، والتشبث بالمنهج  
الحق .

فمن وفى بذلك سَعِدَ في الدنيا والآخرة ، قال تعالى : ( مَنْ عَمِلَ  
صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً  
وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ). سورة النحل  
(٩٧).

وعبودية الدنيا تكمنُ في توحيد خالص ، وصلاة مرضية وتزكية  
دائمة، وذكر لاهج، وصبر قائم ، وتوكل متين، وذلك بوابة  
الآخرة وسعادتها المستديمة ، نسأل الله من فضله...!

## (٥٣) حرمانُ التوفيق...!

التوفيقُ في الحياة نعمةٌ من الله، يحسُّها أهل الذكر والطاعة،  
ويستطعمُ حرمانها أهل اللهو والغفلة، ولذلك عِش ذاكرا،  
تعش موفِّقا، وفي هذا الصدد يقول الإمام الفضيلُ بن عياض  
رحمه الله: (من استحوذت عليه الشهوات، انقطعت عنه موادُّ  
التوفيق) (١).

وهذا سببٌ من انعدام التوفيق، تورطُ بعضنا في الشهوات،  
المعكرة للعبادة، والصرافة عن الذكر، المُلهية عن الطاعات،  
والتفكر في القيامة والاستعداد لها.

(١) ذم الهوى، لأبي الفرج عبد الرحمن الجوزي، (١ / ٢٤)



واستحوذُ الشهواتِ على المرءِ يُنسى كلَّ تلك المعاني  
والمعالم ، ويجعل من النفسِ ظرفاً للمتعة والضياع ، بحيث لا  
ذكرَ ولا صلاة، ولا ضراعة ولا تزكية، ولا استعداد ووعي،  
ويبيتُ في الحياة سهلاً عبثياً، همّه ملء الشهوة، وتعبئة  
فراغها، والله المستعان .

ومادةُ التوفيق إنما تُلمسُ في طاعةِ الله ومحبته والإخلاص في  
عبادته ( احفظِ الله يحفظك ) وحفظه بالانصياع التام، والطاعة  
المتوالية ، والذكر القائم ، والحذر من المخالفات وطرق  
الغواية ، فمن حفظ الله وفقه ، ومن ضيَّعه حرمه أنسه وتوفيقه ،  
والجزاء من جنس العمل .

فمتى ما لحظ العبد شيئاً من ذلك فليراجع نفسه، ولينظر صلته  
بربه، وكيف هي الشهوات منه..؟! المباحات صارفة،  
والمحرمات قتالات، وما وهن الإنسان إلا شهوةٌ قاتلة، أو لذة  
محرمة ، عافانا اللهُ جميعاً ووفقنا لدينه وتقاه.

## (٥٤) شرف العلم والزهد...!

علا العلمُ وشرفٌ لأنه معدنُ الشرف والعلو في الأرض ، وسما  
الزهدُ وارتفع لأنه تنزهٌ عما في أيدي الناس ، وسمت نفسه عن  
الذل والسؤال . قال تعالى : ( قل هل يستوي الذين يعلمون  
والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولوا الألباب ) سورة الزمر (٩) .  
ولهذا لما سُئل ابنُ المبارك رحمه الله : ( مَنْ الناس ؟ فقال :  
العلماء قيل : فَمَنْ الملوك ؟ قال : الزهاد . قيل : فَمَنْ السفلة ؟ قال :  
الذين يأكلون الدنيا بالدين ) (١) . فالناسُ العلماءُ بكيانهم  
الشامخ ، وعلمهم الزاهر ، يُحبهم الناس ويرجعون إليهم ،  
ويحتكمون لرأيهم وفقههم ، ويقدمونهم في دينهم

(١) قوت القلوب ( ١ / ٢٦٣ )

ودنياهم (وقال الذين أوتوا العلم ويلكم ثوابُ الله خيرٌ لمن آمن) سورة القصص (٨٠) .

والملوكُ الحقيقيون هم الزهاد، المتباعدون عن الدنيا وشهواتها، فقد ملكوا نفوسهم عن أن توقعهم في ساحات المذلة ، فترفعوا عن استجداء، وتنزهوا عن إلحاح ، وتعالوا عن مجالس مرتزقة، أو طلاب حاجة ومسكنة...! ولسان حاله : ( فما آتاني الله خيرٌ مما آتاكم ) سورة النمل (٣٦) .

ووكلوا أمرهم إلى الله رزقا وعملا واحتياجا، ومن اعتز بربه أعزه، ولم يذله إلى مخلوق من خلائقه...! وفي الحديث : ( ازهد في الدنيا يحبك الله، وازهد فيما عند الناس يحبك الناس ) (١).

(١) سنن ابن ماجه ، ( ٢ / ١٣٧٣ )

وصنفُ ثالث هم السفلة، الذين يتأكلون بدينهم ، ويجمعون منها  
على حسابِ دينهم وأخلاقهم ، ولم يجرهم علمٌ، أو يصددهم  
خلق ، فاحذروا منهم ومن مجالسهم ، اشتروا بآيات الله ثمنا  
قليلًا، والله المستعان .

## (٥٥) صلاح الدنيا..!

قد يُغلبُ كثيرونَ منا على الدنيا، وتنازعهم شهواتُها ،  
فيسلمون لها ولتداعياتها ، ولكن لو تفكروا وجدوا صادقين  
مع الله ، لأعانهم عليها ...!

قال الخليفة الصالحُ عمرُ بن عبد العزيز رحمه الله : (أصلِحوا  
آخرتكم ، تصلحُ لكم دنياكم) <sup>(١)</sup>.

وهذه وسيلةٌ للانتصار على الدنيا وهزيمتها بذكاء وحِذق ،  
وذلك من خلال إصلاح الآخرة وفن الاسعداد لها ، وذلك  
بالإيمان الصادق بموعودها.. ( ربَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا  
رَيْبَ فِيهِ ) سورة آل عمران (٩).

(١) حلية الأولياء ( ٥ / ٢٦٦ )

وبُحَسِّن العمل اليومي صلاةً وذكراً، ودعاءً وإخلاصاً ، ( حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى ) . وبالتفكر في الموت وأخذ الحيلة له ، ( قل إن الموت الذي تفرون منه فإنه ملائكم ) سورة الجمعة ( ٨ ) ، والتقلل من الدنيا، وصحبة الأخيار ، الذين يكسبونك علماً ونوراً وهداية...! ( كحامل المسك ونافخ الكير )...!

فإذا وُفقتَ لذلك، أعانك الله على الدنيا، وأصلحها لك..!  
لأنك أصلحتَ آخرتك ، ويشهدُ لذلك حديث الترمذي الصحيح ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : ( إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ : يَا ابْنَ آدَمَ، تَفَرَّغْ

لِعِبَادَتِي أَمْلاً صَدْرَكَ غِنَى، وَأَسَدَّ فَقْرَكَ، وَإِلَّا تَفَعَلَ مَلَأْتُ  
يَدَيْكَ شُغْلاً، وَلَمْ أَسُدَّ فَقْرَكَ (١).

والتفرغ للعبادة نوعٌ من تعظيم الباري تعالى، والتزامٍ شرعه،  
وديمة مراقبته، وإيثاره على الدنيا، واتباع هديه وشريعته،  
والذي يثمر غنى النفس وزوال الفقر، واندحار الهمّ والغم،  
وذلك من توفيق الله تعالى .

وفيه دليل على أن العبادة الصادقة من أسباب الرزق، وزوال  
الفقر والمسغبة، (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم  
بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا  
يَكْسِبُونَ) سورة الأعراف (٩٦). والله الموفق .

(١) سنن الترمذي، (٤ / ٦٤٢)



## (٥٦) أنوار التدبر..!

في تلاوة القرآن لذةٌ عجيبة و متعة نادرة، وفي التدبر أضعافُ ذلك من العلم والنور والبهجة ، وملامسة الانشراح والسعادة، ) وكذلك أوحينا إليك روحًا من أمرنا ( سورة الشورى (٥٢). ولذلك كان أحظَّ الناس بكتاب الله المتدبرون العاملون، من إذا قرؤوه انتفعوا به، وذاقوا تدبره، ونالوا علمه، وصحَّت به ضمائرهم ، واقشعرت جلودهم ...!

يقول ابنُ مسعود رضى الله عنه: ( من أرادَ علمَ الأولين والآخرين، فليتدبر القرآن )<sup>(١)</sup>.

(١) قوت القلوب ( ١ / ٩٠ )

لأن القرآن فيه نبأٌ من قبلنا ، وخبر من بعدنا ، كلامه فصل ،  
وحكمه عدل ، وموعظة شاملة ، ورحمة متكاملة . وحوى  
القصاص والأحكام ، والمواعظ والبيانات ، والدروس والعبر ،  
التي تكشف حقيقة النفس والناس والكون ، وتجلي الدين  
والدنيا والآخرة ، أبين السبل ، وأحسن الطرق ، وأهدى  
المسالك والموارد.. ( كتاب أنزلناه إليك مباركٌ ليدبروا آياته )  
سورة ص ( ٢٩ ) .

وقال تعالى : ( أفلا يتدبرون القرآن ) سورة محمد ( ٢٤ ) على  
وجه الاستنكار لمن هجره وضيعه ، أو تلاه بلا قلبٍ حاضر ،  
ووجدانٍ نابِه . ! لا سيما وفيه ما يُحيي النفوسَ ، ويوقظُ  
القلوبَ ، ويزكي العقولَ ، ويشحذ الهممَ ، ويطيب الأرواحَ ،

ويعلم الآداب والشمائل.. (إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم)

سورة الإسراء (٩) .

فلا هدى فوق هداه، ولا منهج أقوم من منهجه ، ولا طريق

أصح من مسلكه ودليله . وفقنا الله وإياكم لحبه والعمل ببيئاته.

## (٥٧) مهاوي الهوى ..!

قد لا يتفكر كثيرٌ من الناس في عواقب الهوى ومنتهاه، وأنه بوابةُ  
السقوط ، ونافذة الانحطاط ، لأنه ميلٌ بلا عقل، وشهواتٌ  
منحدرة، وضياع بلا حدود، ومخالفة للهدى والشرع ( أرأيتَ  
من اتخذ إلهه هواه ) سورة الفرقان (٤٣) .

وقال الإمام الشعبي رحمه الله : ( إنما سُمي الهوى هوى؛ لأنه  
يهوي بصاحبه ) (١).

هوى بصاحبه لما استهان بالشرع ، وقدّم الشهوة على العقل،  
والميل على النص ، والباطل على الحق، فارتضى عيشة  
البهائم، وطرائق السقط...!

(١) أدب الدنيا والدين ، للماوردي ( ١ / ٢٤ )

ومنتهى الهوى لذائدُ محرمة، وشهواتُ جامحة ، ومعاص

غازة، تنتهي بالشقاء والمتاعب والمرارة..!

لأنه يصير الحاكم للإنسان ، والمحرك لسيره ، والضابط

لاتجاهه ، ويختفي الوعي والعقل والاتعاظ ، وحينها لاتنفع

معه عبرة ، ولا تصبحه موعظة ، ولا تثيره حوادث، يقسو القلب

، وتنعدم الروح، ويعز الانتفاع، لا سيما مع الاستغراق الشهواني

، والسقوط الهوائي ...!

والواجبُ كبُح ذلك بالتوبة الصادقة، والإنابة المستديمة ،

واللسان الذاكر ، والاستغفار المتوالي ، والتباعد عن مسببات

الهوى ومنافذه. والابتغال إلى المولى الكريم لطهارة القلب،

وصلاح النفس ، وملازمة الذكر والإخلاص، قال تعالى: (

كذلك لنصرف عنه السوء والفحشاء، إنه من عبادنا  
المخلصين (سورة يوسف (٢٤)). أي المخلصين له بالطاعة  
والعبادة .

فأخلص دينك، ورطب لسانك، وأدم استغفارك.. (وما كان الله  
معذبهم وهم يستغفرون) سورة الأنفال (٣٣). نستغفر الله  
الحي القيوم ونتوب إليه .

## (٥٨) ذنبٌ يُغفلُ عنه..!

من أنفُسِ العلوم ، تعلمُ القرآنَ وحفظُه ومذاكرته، والعيشُ في دروسه ومواعظه ، قال تعالى : ( إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم ) سورة الإسراء (٩) .

قال الإمام أبو العالية الرياحي رحمه الله : ( كنا نعدُّ من أعظم الذنوب أن يتعلم الرجلُ القرآنَ ، ثم ينام عنه حتى ينساه )<sup>(١)</sup> .  
إنها نهايةٌ بئيسة ، أن يتعلمَ بعضُنا القرآنَ ، ثم يغفلُ عنه ، كان من أهل القرآن ، ثم بات من أهل النسيان ، ومن أهل ذكره وتلاوته ، فصار غافلاً مشغولاً بلذته ، والله المستعان...!

وفي الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، قال :  
قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : ( بِئْسَمَا لِأَحَدِهِمْ يَقُولُ

(١) صفة الصفوة (٣ / ٢١٢)

نَسِيتُ آيَةَ كَيْتٍ وَكَيْتَ بَلْ هُوَ نُسِّي ، اسْتَذَكِرُوا الْقُرْآنَ ، فَلَهُوَ  
أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرَّجَالِ مِنَ النَّعَمِ بِعُقْلِهَا ) .

وعده بعضهم من الكبائر ، والصحيح أنه ذنبٌ مؤاخذ به ،  
مسؤول عنه ، وهذا في حق المعرض المتساهل ، الذي حفظه  
وضيعه وتشاغل عنه بدنيا فاتنة ، أو مشاغل صارفة...! فحُقُّ  
القرآن عظيمٌ عند أهله وحفظته .

والنومُ عنه نومان: دائمٌ فذلك الغفلة المتناهية ، والنوم الجزئي ،  
الذي لا يقوم به ، ولا يتهدد بتلاوته ( كانوا قليلاً من الليل ما  
يهجعون ) سورة الذاريات ( ١٧ ) .

فيحفظه ولا يراجعه ، أو يحفظه ولا يصلي به كالصالحين  
الطيبين ، نعوذ بالله من خطيئة الضياع والإهمال<sup>(١)</sup> .

(١) أخرجه البخاري في صحيحه ، برقم ( ٤٦٠٤ ) ( ٤ / ١٨٥٣ )



## (٥٩) محبة الله وذكره..!

ليس شيء عند الصالحين المتقين يعادلُ محبةَ الله وذكره،  
والاستمتاع بطاعته .

يقول مالكُ بن دينار رحمه الله : ( مساكينُ أهل الدنيا خرجوا  
منها وما ذاقوا أطيَبَ ما فيها ، قيل له وما أطيَبُ ما فيها : قال :  
معرفةُ الله عز وجل ومحبتُهُ ، والشوقُ إلى لقائه )<sup>(١)</sup>.

فألذُّ المتع عندهم معرفةُ الله وحبّه، وذكره والشوق إلى لقائه،  
بحيث عُمرت أوقاتهم بالطاعات، وترطبت ألسنتهم بالأذكار،  
وتعلقت أفئدتهم بالآخرة والاستعداد لها، فهم في طاعةٍ وخير ،  
وفي أفنانٍ برٍّ ومعروفٍ، وفي رياضٍ قرآنٍ وضراعة..!

(١) مدارج السالكين ( ١ / ٤٥٤ )

يرون في ذلك راحتهم وسعادتهم ، ويعتقدون فيها ملذتهم  
وسرورهم، فيفتح الله عليهم من أنوار رحماته، ونسمات  
بركاته ما يملأ عليهم فراغهم، فيحسون بسعادة غامرة، تُزهدهم  
في كل الممتع واللذات .

وقلب المؤمن كالسمكة لا تعيش بلا ماء، وكالإنسان لا يدوم  
بلا هواء، ..! ولذلك كان الذكر حياته، واللهج به نوره وسعادته  
( مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْشِيَ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً  
طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ) . سورة  
النحل ( ٩٧ ) .

وهذا حقيقة الحياة الدنيا عند أهل الإيمان ، أنها لا تساوي شيئاً  
بغير الإيمان والذكر ( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ) سورة  
المؤمنون ( ١١٥ ) .

وأن عمارتها إيمانياً سببٌ في الشرح والحياة الطيبة ، كما أن  
تضييعها شهوانياً سببٌ للشقاء والمحازن ، ولذلك كان صلى  
الله عليه وسلم يذكرُ الله على كل أحيانه ، فيحيا قلبه ، وتسعدُ  
نفسه وتندفع متاعبه ، ويتجدد إيمانه ، والله ولي التوفيق .

## (٦٠) النقصان الحقيقي ..!

يتراجعُ مالٌ أحدنا فيتألم ويحزن، وتشتدُّ ديونُه فيضيِّقُ

ويتعصب، ولديه نقصانٌ جارٍ معه كل يوم، لا يتفكر فيه ولا

يتأمله..!

وهو ذهابٌ العمر، ونقصانُ الأجل، واقترابُ النهاية، ولا يزال

للدنيا جماعاً طلاباً، والله المستعان .

والمصيبة إذا النقص تمّ مع تقصير في العمل، وغفلة قائمة،

وانشغال دائم، وجلسات فارغة... (أو لم نعلمكم ما يتذكر فيه

من تذكر وجاءكم النذير) سورة فاطر (٣٧) .

يقول الإمام يحيى بن معاذ رحمه الله: ( عَجِبْتُ مِنْ يَحْزَنُ عَلَى

نَقْصَانِ مَالِهِ ، كَيْفَ لَا يَحْزَنُ عَلَى نَقْصَانِ عُمُرِهِ ) (١).

لَأَنَّ نَقْصَانَ الْأَجْلِ أَهْمٌ وَأَخْطَرُ ، وَحَسْرَتُهُ أَشَدُّ وَأَنْكَدُ ، وَمَا

ذَهَبَ مِنْ مَالٍ يُتَدَارَكُ ، وَمَا تَلَاشَى مِنْ عَمْرٍ لَا يُتَدَارَكُ وَلَا

يَعْوَضُ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ .

فَكَمْ سَتَعِيشُ يَا بَنَ آدَمَ ، وَكَمْ لَا تَزَالُ تَجْمَعُ فِي الدُّنْيَا وَتَدْخُرُ ..

تَفَكَّرْ فِي مَصِيرِكَ الْحَقِيقِيِّ ، وَمُسْتَقْبَلِكَ الْحَتْمِيِّ ، الَّذِي سَيَنْتَهِي

قَرِيبًا ، وَتَدْنُو غَايَتَهُ ، مَاذَا فَعَلْتَ ، وَمَاذَا أَعْدَدْتَ لَهُ ..؟! قَالَ تَعَالَى

: ( وَتَزُودَا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى ) سورة البقرة (١٩٧) .

(١) صفة الصفوة ، ( ٤ / ٩٥ )

وقال سبحانه: ( أفحسبتم أنما خلقناكم عبثاً ) سورة المؤمنون )  
( ١١٥ ). فتحرر من ذلك العبث ، وخذ الحزم في حياتك ، واصنع  
ليوم حضورك وآخرتك ( يوم تجد كل نفس ما عملت من خيرٍ  
مُحضرًا .. ) سورة آل عمران ( ٣٠ ) .

## (٦١) وليتك تسلم..!

الناس متنوعون في الأخلاق والمشارب ، وفي التعامل  
والمواقف ، ولذلك كانت الغنيمة التقليل منهم قدر المستطاع ،  
وعدم التوسع في العلاقات الضارة ، وتخير أصدقاءك كما  
تتخير طعامك وشرابك...!

سئل الإمام أحمد رحمه الله : ( كيف السبيل إلى السلامة من  
الناس ؟ فأجاب : تعطيهم ولا تأخذ منهم ، ويؤذونك  
ولا تؤذيهم ، وتقضي مصالحهم ، ولا تكلفهم بقضاء  
مصالحك ، فقل إنها صعبة..! فقال: وليتك تسلم ) . !!  
وتروى عن حاتم الأصم رحم الله الجميع<sup>(١)</sup> .

(١) سير أعلام النبلاء ، ( ١١ / ٤٨٧ )

وهذه موعظةُ البذل والعطاء ، لا الأخذ والجفاء، فالناس وإن  
سروا أحيانا ، سيتعبونك لاحقا . ولذلك خذ زمام المبادرة  
دائما، بالإحسان والنفع ، ( وجعلني مباركا أينما كنت ) سورة  
مريم (٣١).

فأعطِ بلا حسابان ، ولا تنتظر الرد، وتجنب أذيتهم ، ولا تجازي  
بالمثل ، واقضِ حوائجهم ، ولا تنظر لهم أن يخدموك  
ويعاونوك!..!

وهذه موعظةٌ حكيمة، في فن العلاقات والاجتماعات ، فادخل  
إليهم إيجابيا نافعاً ، وليس سلبيا متطلبا وملاحظا.



ومع كل ذلك قد تجدُ من يتكلمُ فيك، ويقلُّ من دورك،  
ويتهمك في الإحسان ، لأن ثمة طبقةً في الناس، هذه وظيفتهم  
ودورهم....!

وفي الختام ، وبرغم تلك الحسناتِ الدافقات ، والمواقف  
المستطابات، قد لا تسلم منهم ، وقد تشاهد منهم مواقفَ  
مخزيةً تجاهك، ويقللون من فضلك، أو يتهمون نيتك ..!  
هذا وأنت مُحسنٌ متباعد، فكيف بالمحسن القريب، أو  
الصموت البعيد...

ولذلك قال في الحديث: ( تكفُّ شرك عن الناس فإنها صدقة  
منك عن نفسك )<sup>(١)</sup>. حيث بها تسلم وتغنم .

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٨٦) (١ / ٨٩)

ومع ذلك يبرز مع مرور الأيام من يكيدُ أو يتهم ويخطط.....!

وصدق قول القائل :

ليس يخلو المرءُ من ضدٍ ولو \*\* \* حاول العزلة في رأس الجبلُ

اللهم استعملنا في طاعتك، وألهمنا رشدنا..

## (٦٢) عاقبة التهاون والتأجيل<sup>(١)</sup>..!

المؤمن ذو نظام يومي في العبادات، صلاة متكررة، وآداب معمورة، وصلات مطلوبة، ولذلك، لا تعود نفسك الإهمال، وجاهدها بالإصلاح والاستغفار .

ومهما كان لديك من أشغالٍ وارتباطات فلا تُهملنَّ دينك، ولا تضرن باستقامتك..! وقد تتراخى ولكن لا يدوم ذاك التراخي، ولا تستطيب الترك..!

يقول الإمام عبدالله بن المبارك رحمه الله في موعظة غراء : (مَنْ تهاوَنَ بالأدب ، عُوقِبَ بحرمان السُّننِ ، وَمَنْ تهاوَنَ بالسُّننِ ،

(١) الجامع لأخلاق الراوي ، للخطيب البغدادي (١ / ٨٠).

عوقب بحرمان الفرائض، ومَن تهاون بالفرائض ، عوقب  
بحرمان المعرفة (١).

فتركُ الأدبِ مطلقا، مورثٌ للتزهد في السنن، وترك السنن،  
سيخل مع مرور الوقت بالفرائض ومراجعة الأحكام ،  
والمتهاون بالفرائض ويديم ذلك، سيحرم العلم والمعرفة بالله  
تعالى، وستنتهي حياته والعياذ بالله الى البؤس والمتاعب...!  
فأثبت على الحق وجاهد نفسك ، واستشعر ما هنالك من  
الفضل حين العمل والثبات، ولزوم المحافظة ( وما تقرب إليَّ  
عبدي بشيء أحبَّ إلي مما افترضت عليه ، ولا يزال بعدي  
يتقرب إليَّ بالنوافل حتى أحبه .. ) (٢).

(١) شعب الإيمان ، للبيهقي (٣ / ١٨٢)

(٢) البخاري (٦٥٠٢).

وقد كان صلى الله عليه وسلم يُكثرُ من دعاء الثبات ، وما ذاك  
إلا بسبب حاجة المرء إلى ذلك، ولدفعه كل التغيرات ، ولبقاء  
الخير والطاعة .

## (٦٣) قرع الباب..!

يقولون : ندعو ولا يستجاب لنا، ونبتهل ونتعب، ونلوذ ويتأخر  
الفرج..! ثم قد تزين لهم نفوسهم ترك العمل، والزهد في  
الدعاء، فلا نفوسٌ مبتهلة ، ولا أيادٍ مرفوعة ، والله تعالى يقول  
(: فإني قريبٌ أجيب دعوة الداع إذا دعانِ ) سورة البقرة (١٨٦)  
. وللدعاءِ آداب قد يفوتهم منها قضية الإكثار والإلحاح ، وعدم  
اليأس والاستبطاء...

يقول أبو الدرداء رضي الله عنه : ( من يُكثر قرعَ الباب، باب  
الملك يوشك أن يُستجابَ له ) (١).

(١) الجامع ، لمعمر بن راشد الأزدي (١٠ / ٤٤٢)

فاقرع الباب كثيرًا ، وانطرح بين يدي مولاك شيئًا عظيمًا ،  
وأدمن رجاءه وطلبه ، ولا يداخلك اليأس ، أو يغتالك الانتظار  
، فإن مدمن القرع يوشك أن يفتح له ، ومع ذلك القرع ، صحح  
النية ، واصدق المسار ، وتجرد من الحظوظ ، واطمع فيما عند  
الله تعالى .

والإكثارُ يعني الغالبَ من أحوالك ، ولزوم ساعاتِ الإجابة ،  
وترك الملل ، والتلذذ بين يدي الله تعالى ، فإنها عبوديةٌ يبحث  
عنها كثيرون ... قال صلى الله عليه وسلم : ( الدعاءُ هو العبادة )  
(<sup>١</sup>) وإنه ليحب الملحِين في الدعاءِ .

(<sup>١</sup>) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٨٤١٠) (٤ / ٢٧١)

وما أحسن قول بعضهم :

إنَّ الأمورَ إذا انسَدَّتْ مسالكُها \* \* فالصبرُ يفتحُ منها كلَّ ما ارتججا

لا تياسنَّ وإن طالت مطابئةُ \* \* إذا استعنتَ بصبرٍ أن ترى فرجا

أخلقَ بذى الصبرِ أن يحظى بحاجته \* \* ومدمنُ القرعِ للأبواب أن يلجا

والملحُّ في الدعاء صبورٌ وقور، دائم الابتهاال ، كثيرُ الإنابة ،

عميقُ الضراعة، طويلُ الانكسار ، فترق روحه، وتنهمرُ دموعه،

ويصفو قلبه، ويشتد إخلاصه ، وينال مطلوبه بإذن الله تعالى

... ( وقال ربُّكم ادعوني أستجب لكم ) سورة غافر ( ٦٠ ) . وفقنا

اللهُ وإياكم لحسن دعائه وعبادته .



## (٦٤) مرآة التوبة...!

الولوجُ إلى حدائق التوبة ، والعيشُ في رياضها يُطرب النفوس ،  
وتُستطعم فيها السعادة ، وما فيها من طعومة لذيذة ، وبهجة  
عجبية ...! ويزهد ذلك في خال المعاصي ، لا سيما وهو يستذكر  
قبحها ، وكيف أن اللهَ وفقه ، ونجاه ، وأعانه ، فأراه ملذاتِ  
الراحة ، ونعيم المباهج ، بخلاف مقابح السيئات ، وجحيم  
المناكر ، وما تحدثه من لظى داخل الروح والقلب ...!  
فإنَّ جراحها قاتلة ، ولو تسترت بالحُسنِ الزائف ، أو الغلافِ  
المزركش المغشوش ...!

قال المتنبي :

جَرَبْتُ مِنْ نَارِ الْهَوَى مَا تَنْطَفِي \* \* نَارُ الْغَضَى وَتَكِلُّ عَمَّا تُحْرِقُ

يقول الإمام إبراهيم بن أدهم رحمه الله : ( إنك إن أدمت النظر

في مرآة التوبة ، بان لك قبيح شر المعصية )<sup>(١)</sup>.

وفي التوبة مرآة للذة متناهية ، وجنانٍ راوية ، وصفاء مُطرب ،

وراحة مختلفة ، من جربها عزت عليه تركها ، والركون إلى

سواها من شهوات ضائعة ، أو معاصٍ خاسرة ...!

والسبب أن الطاعة طريقُ المتقين المنعم عليهم ، فيه نور

وإضاءة ، وعز وكرامة ، والمعصية ظلمةٌ دامسة ، ومذلةٌ خائبة ،

ستنكشف للمرء عما قريب ..!

(١) التوبة ، لابن أبي الدنيا ، ( ١ / ٦٤ )

وقد كان من دعاء إبراهيم بن أدهم رحمه الله أيضا رحمه الله: "

اللهم انقلني من ذل معصيتك ، إلى عز طاعتك"<sup>(١)</sup>.

واستشعارُ تلکم المذلة ، كافٍ في تركها والنأي عنها بعيدا بعيدا

، لا سيما وقد كشفها الله عند التورط فيها، وأنها حسراتٌ تلو

حسرات ، ومتاعب تخلف متاعب ، فالحذرَ الحذرَ ( وتوبوا

إلى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون) سورة

النور(٣١).

وهي تُرى في وجوه أصحابها وحركاتهم، كما ترى أنوارُ الطاعة

في وجوه أهلها ومحبيها ، وهي حجةٌ قاطعة على المكابرين في

ذلك ، والله الموفق .

(١) حلية الأولياء ( ٨ / ٣٢ )

## (٦٥) الهدية الحسنة والشلاء...!

كثيرون هم المصلون ، وقليل هم الخاشعون، الذين  
يستحضرون وقوفهم بين يدي الله تعالى ، فيغظمونه غاية

التعظيم، ويتلون كتابه في رغبة ورغبة، ...!

تصور لو أنك قائم أمام عظيم أو وجيه، كيف حالك، أو كنت  
ستهدي له شيئاً ، فماذا ستقدم...

يقول بعضُ السلف: ( الصلاة كجارية تُهدى إلى ملك من  
الملوك، فما الظن بمن يهدى إليه جارية شلاء أو عوراء ...  
فكيف بصلاة العبد والتي يتقرب بها إلى الله.. )<sup>(١)</sup> .

فأحسن صلاتك عبدَ الله ، واستحضر عظمة الباري تعالى، وأنه  
يحيط بك وينظر عملك وقربك، فالصلاةُ أجلُّ عمل، وأزكى

(١) مدارج السالكين (١ / ٥٢٦)

طاعة، وأدوم قربة، وكل يوم وأنت في صلاة، وأنت في إنابة،  
وأنت في كنف ربك ودعائه ( أقرب ما يكون العبد من ربه وهو  
ساجد )<sup>(١)</sup>.

وقال صلى الله عليه وسلم ( واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة،  
ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن )<sup>(٢)</sup>.

وكما نعظم ملوك الدنيا، فالله أحق بالتعظيم سبحانه وتعالى،  
فقدموا إليه صلاةً حسناً مباركة، ذات رغبة ورهبة، يُبتغى بها  
وجهه، ويرتجى فيها فضله، وتخضع فيها الروح والجسد !..  
(قد أفلح المؤمنون الذين هم في صلاتهم خاشعون) سورة  
المؤمنون (١،٢).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه برقم (٤٨٢) (١ / ٣٥٠)

(٢) أخرجه أحمد في مسنده برقم (٢٢٤٨٦) (٥ / ٢٨٢)

## (٦٦) خشوع النفاق..!

من أبغض المسالك والصفات أن يتشبه المؤمنُ بالمنافقين  
وصفاتهم ، ولذا كثر التحذيرُ منهم ومن عاداتهم وطرائقهم  
(إن المنافقين هم الفاسقون ) سورة التوبة (٦٧) . ومن أعجبِ  
الكلمات هنا والمواعظ السديدة ..

قول أبي الدرداء رضي الله عنه : ( استعينوا بالله من خشوع  
النفاق، قالوا: وما خشوع النفاق؟ قال: أن ترى الجسدَ خاشعاً  
، والقلب ليس بخاشع )<sup>(١)</sup>.

لأن معنى ذلك التصنع والمحاكاة ، وليس الحقيقة والواقع ،  
لأنه لو خشع قلبه، لزمته روحه وطابت عبادته، ولكنه اهتم

(١) الزهد، لابن حنبل (١ / ١٤٢)

بالظاهر على حساب الباطن ، وعلامة ذلك النسيان وقلّة  
الاعتبار، واستثقال الطاعات، وضعف المبادرة ، ومجالسة  
أرباب المعاصي ، وندرك عبادة السر..!

فلم يبق معه إلا الصلاةُ في الجماعة ، يُحسّن جسده، ويهمل  
قلبه ، ويصلح ظاهره، ويتناسى داخله، وهو الأولى بالإصلاح  
والتعاهد والتزكية ، قال تعالى : ( قد أفلح من زكاهها ، وقد  
خاب من دساها ) سورة الشمس (٩، ١٠) .

بحيث لو تُليت عليه المواعظُ، أو شاهد القبور والحوادث ، لما  
تأثر وتحرك ، ويتلى عليه القرآنُ فلا يحدث له أدباً وانتفاعا ،  
والله المستعان .

## (٦٧) همّ الإجابة...!

من المؤسف في دعواتنا وصلاتنا نركز على الإجابة ونتهمم بها ، ونهمل الدعاء وحسنه وصدقه، وإخلاصه ، وإذا تأخرت الإجابة تركنا الدعاء ، وانصرفنا لحياتنا وأشغالنا !..  
برغم أن الدعاء بمجرد طاعة مبرورة، وتوحيد والتجاء،  
وتوجه واعتصام ( وقال ربكم ادعوني أستجب لكم ) سورة  
غافر (٦٠).

ومما يروى عن عمر بن الخطاب -رضي الله عنه في درره  
الفريدة، ومواعظه الجميلة - : ( أنا لا أحمل همّ الإجابة ،



ولكن أحمل همَّ الدعاء، فإذا ألهمتُ الدعاء فإن معه الإجابة)

(١).

وهذا يعني التزام الدعاء، وعدم الزهد فيه، والإكثار منه على الدوام، وتعاهده في ساعاتِ الاجابة، وجعله مقرونا بحياة العبد واحتياجه وأشغاله، لا سيما والحياة كلها همٌّ وضعف وافتقار... (يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله) سورة فاطر (١٥)

ونحن في احتياج دائم إلى عون ربنا وفتحه ورزقه، وأن يزيل همومنا وأحزاننا، قال عليه الصلاة والسلام: (الدعاء هو

(العبادة)

(١) مدارج السالكين (٣ / ١٠٣)

وفي تلك العبادة فتوحاتٌ ورحمات، يستطعمها العبد إذا استدام  
وأنابَ وأخلص ( فادعوا الله مخلصين له الدين ولو كره  
الكافرون ) سورة غافر ( ١٤ ) وفي استمراره إيقان العبد بضعفه  
وتعلقه بخالقه ومولاه.. والله الموفق .

## (٦٨) الأسئلة المميتة...!

العلمُ حجةٌ على العبد، وما أودعه الله في وحيه واجبُ الاتعاظ  
به، وفي حياتنا دروسٌ مؤثرة، تحملنا على حسن العمل  
والاستعداد، وإلا كنا كالعامة، لا عقلٌ ولا نقل، ولا وعي ولا  
استبصار...!

وقد سُئِلَ الإمامُ إبراهيم بن أدهم - رحمه الله -: ما بالنا ندعو فلا  
يستجابُ لنا؟ فقال: ( لأن قلوبكم ماتت بعشرة أشياء : عرفتم  
الله فلم تطيعوه، وعرفتم الرسول ولم تتبعوا سنته، وعرفتم  
القرآن ولم تعملوا به، وأكلتم نِعَمَ الله ولم تؤدوا شكرها،  
وعرفتم الجنة فلم تطلبوها، وعرفتم النار ولم تهربوا منها،

وعرفتكم الشيطان ولم تحاربوه، وعرفتكم الموت فلم تستعدوا له،  
ودفتكم الأموات ولم تعتبروا بها، وانتبهتم من نومكم فاشتغلتم  
بعيوب الناس وتركتكم عيوبكم) (١).

وهذه المعارف مهمة، ويعلمها كثير من الناس، ولكنهم لا  
يتعظون، فالله قصرنا في طاعته، والرسول جانبنا سنته، والقرآن  
تلاوة بلا عمل، والنعم تنسينا شكرها، والجنة تنادي ولا  
مشمرون لها، والجنة تذكر ولا مخافة، والشيطان قد سالمه  
بعضنا، والموت يتخطف الناس ولا استعداد وتأهب، ومع

(١) إحياء علوم الدين، الإحياء للغزالي، (٣ / ٣٨)

الاستيقاظ ننشغل بعيوب الآخرين ، ولا نصلح عيوبنا ، والله

المستعان ...!

أسئلة معروفة وسهلة، ولكن جوابها تقصير وإهمال ، وتسويق

ولا مبالاة، بالله عليكم تأملوها وابتحوا لها عن حلول، أصلح الله

منا القلوب ، ورزقنا العظة وحسن العمل ، والله الموفق ...

## (٦٩) فضلُ اتباعِ السنة...!

للسنةِ فضلٌ على القرآنِ من حيث شرحها له، وتوضيحها  
لمجمله، وكشفها لأسراره وبياناته، وقد صحَّ قوله صلى الله  
عليه وسلم: (ألا إني أوتيت الكتابَ ومثله معه) (١).

وقال الإمامُ ابنُ قدامةَ المقدسيُّ: (في إِتِّبَاعِ السُّنَّةِ: بَرَكَةٌ مُوَافَقَةٌ  
الشَّرْعِ، وَرِضَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ، وَرَفْعُ الدَّرَجَاتِ، وَرَاحَةُ الْقَلْبِ،  
وَدَعَةُ الْبَدَنِ، وَتَرْغِيمُ الشَّيْطَانِ، وَسُلُوكُ الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ) (٢).  
السنةُ هي طريقة رسول الله المرصية، ونهجه المستقيم،  
ودلالته المهدية... (عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين) (٣).

(١) أخرجه أحمد في مسنده برقم (١٧٢١٣) (٤ / ١٣٠)

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري (٢٣ / ٢٦٦).

(٣) البخاري (٥٠٦٣) المسند (٢٣٤٧٤) ..

ومن فوائد اتباعها هنا : البركةُ في الحياة وموافقة دين الإسلام ،  
ونيل رضى الله، ورفعَةُ الثواب والدرجات، وارتياح القلب،  
وراحة البدن ، وإهانة الشيطان وترغيمه ، والتزام الطريق البين  
الواضح ، وقد قال تعالى : ( لقد كان لكم في رسول الله أسوةٌ  
حسنة ... ) سورة الأحزاب (٢١).

وهذه الأسوة الحسنة ، أهلها وأحبابها هم المتبعون لها،  
والعاملون بإخلاص، والمهتدون بأثرها ، والساعون في  
الاستعصام بها ( ومن رغبَ عَن سنتي فليس مني )<sup>(١)</sup>.

فلا ترغب ولو رأيت الراغبين عنها، ولا تزهد ولو شاهدت  
الزهادة ، ولا تنشغل ، ولو أغرتك الدنيا وزخارفها..! وفي السنة  
نجاةٌ وقوة، ودينٌ وعصمة، وثواب ومنة ، وأفضال ومحبة ،  
جعلنا الله وإياكم من أهلها وأحبابها ، والله الموفق .

(١) البخاري (٥٠٦٣) المسند (٢٣٤٧٤).

## (٧٠) حلاوة العبادة ..!

من جمال هذا الدين، أن الله تعالى جعل في اتباعه حلاوةً، وفي امثاله طيباً وراحةً، وهي حلاوة الإيمان، ولذة الطاعات، وجماليات القربات. ولذلك كان من أسباب انتشاره في العالم، ما فيه من تلك الحلاوة والصفاء النفسي، حيث تسكن إليه النفوس بعد قلق، وتؤوب إليه الأرواح بعد ضياع، وتلوذ به القلوب بعد شرود...!

يقول الإمام الحسن البصري رحمه الله تعالى: (تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، وفي الذكر وقراءة القرآن، فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق) (١).

(١) شعب الإيمان، (٥ / ٤٤٧)



ففي الصلاة حلاوة وملذة، وفيها راحةً وانسراح ( وجُعِلت قرءةً  
عيني في الصلاة )<sup>(١)</sup>.

وفي الذكرِ المطلق ، والتسبيح الدائم ، والابتهاج المتواصل قوةً  
وسعادة وانطلاق . وفي قراءة القرآن ، وما أودعه الله فيه من  
أسرار الجمال، ومقومات السعادة ، فقلبٌ منشرح ، ونفسٌ  
طيبة، وصفاء ملتذُّ، والحمدُ لله على إنعامه . (الذين آمنوا  
وتطمئن قلوبهم بذكر الله ، ألا بذكر الله تطمئنُّ القلوب) سورة  
الرعد .

(١) المسند (١٢٢٩٣) النسائي (٣٩٣٩).

وإن انعدمت كلُّ تلك الخصال، أو مورست ، والقلب متخشبٌ  
جافٍ، ولم تُفتح له ثغرة، فاعلموا أن ثمة انغلاقًا ، وفي الطريق  
صدود، والغبار ثائر ، والعجاجة منتشرة ، والله المستعان .  
فلا بد من توبة صادقة، واستغفار ماحٍ، وانكسار شديد...  
وانغلاق الأبواب سببه معاصٍ جائمة، أو ذنوبٌ خفية، أو  
تساهلاتٌ مردية ، أو مباحات مشغلة، أو طاعات منقوصة .  
(ومن يُهن الله فما له من مكرم ) سورة الحج (١٨) .

## تم كتاب (المنتقيات الرضية من المواعظ السلفية □

## إصدارات المؤلف :

صدر له أكثر من ( ١٠٠ ) كتاب منها :

- سلالمُ العلم .
- الخطب الحديثية
- أربعون المعالي
- الأربعون الأكثرية
- موقظاتُ التدبر القرآني
- نثار العلم
- من جماليات السيرة النبوية
- محائليات ( شعر ) .
- اليراعةُ الرمضانية
- مواقف علمية للأئمة الأسلاف . وكلها من ( دار تكوين ) .
- طلائع السلوان - دار ابن خزيمة .
- نسماثُ من أم القرى .
- وطن ومنن

- توهجات النيل
- اللؤلؤ المنظوم في تقريب العلوم .
- سلسلة أربعينيات حديثة متنوعة .

للتواصل :

[hamzah10000@outlook.com](mailto:hamzah10000@outlook.com)

